



العذراء الملكة التي جلست عن يمين الملك السماوي



إفْرَحِي يَا كَرَمَةَ
الْعُصْنِ
الَّذِي لَا يَذْبُلُ

أَفْرَحِي يَا كَرَمَةَ:
تُشير إلى العذراء مريم
التي أنبتت المسيح،
عنقود الحياة والفرح
الأبدي

الْعُصْنِ الَّذِي لَا يَذْبُلُ:
يقصد به المسيح الإله
المتجسّد، «غصن البرّ»
الخارج من أصل يسى
(إش 11: 1)



إفْرَحِي أَيُّهَا الصَّدَفَةُ
الَّتِي أَبْرَزَتْ
الْلَوْلُوءَةَ الْإِلَهِيَّةَ

فَالصَّدَفَةُ لَمْ تُنْجِ الْلَوْلُوءَةَ
بِجُهْدٍ بَشَرِيٍّ، بَلْ بِقُوَّةِ الرُّوحِ
الْقُدُسِ، كَمَا حَبَلَتْ أَلْبَتُولُ
بِالْمَسِيحِ دُونَ زَرْعٍ بَشَرِيٍّ.
وَهَكَذَا، حِينَ وَجَدَ التَّاجِرُ
الْعَاقِلُ (رَمَزُ الْمُؤْمِنِ) هَذِهِ
الْلَوْلُوءَةَ الْإِلَهِيَّةَ - الْمَسِيحَ -
بَاعَ كُلَّ شَيْءٍ، أَيَّ تَخَلَّى عَنِ
الْعَالَمِ لِيَقْتَنِيَ الْمَسِيحَ وَحْدَهُ

**Ἡ Ὑπεραγία Θεοτόκος,
ἡ Βασίλισσα καὶ Κυρία καὶ Οἰκονόμος τοῦ Ἁγίου Ὄρους Ἀθῶ.
والدة الإله الكلية القداسة، الملكة والسيدة والمدبرة لجبل آتوس المقدس**



رسالة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث. بمناسبة عيد رئيسي طغمت الملائكة العظيمين ميخائيل وجبرائيل وسائر القوات السماوية. في مدينة يافا - يوم الخميس، ٨ تشرين الثاني شرقي الموافق ٢١ تشرين الثاني غربي، لعام ٢٠٢٤

الخلاص؟» (عب ١: ٤). فُهم، بطاعتهم، يُخَدِّمُونَ الله، وَيُتَمِّمُونَ
المشيئة الإلهية بخوف ورعدة، من أجل خلاصنا نحن البشر، كما يُعَلِّمُ
القديس يوحنا الذهبي الفم.

حقاً إن الملائكة هم الذين يُعَلِّمُونَ إرادة الله للبشر، ففي العهد
القديم كما في العهد الجديد. فالنبي داود يُرَتِّمُ قَائِلاً: «باركوا الرب يا
ملائكته، المُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرُهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلَامِهِ» (مز
١٠٢: ٢٠). وقال رئيس الملائكة جبرائيل لزيارتنا: «أنا جبرائيل
الواقف قدام الله، وأُرسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا» (لوقا ١: ١٩).
وهو أيضاً الذي أُرْسِلَ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي النَّاصِرَةِ قَائِلاً: «افرحي يا مُتِلَقَّةً
نِعْمَةً! الرَّبُّ مَعَكَ، مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النَّسَاءِ» (لوقا ١: ٢٦-٢٨).

وعند ميلاد السيد المسيح، «ظَهَرَ بَعْتُهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ جُفُوهً مِنَ الْجَنَدِ
السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ الله وَقَائِلِينَ: الْمَخْدُودُ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ
السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ». (لوقا ٢: ١٣-١٤). وكما بَشَّرَ الْمَلَائِكَةُ
بِالْقِيَامَةِ قَائِلِينَ لِلْمَرَاتِنِ: «لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لِأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ» (مت
٢٨: ٦). وَهُمْ أَيْضاً الَّذِينَ ظَهَرُوا لِلرُّسُلِ عِنْدَ صُعودِ الْمَسِيحِ، قَائِلِينَ:
«إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ، سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا
رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١١).

ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مُرْسَلُونَ لِحِمَايَتِنَا،
كَمَا أَوْضَحَ الرَّبُّ: «انظُرُوا، لَا تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ، لِأَنِّي أَقُولُ
لَكُمْ: إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي
السَّمَاوَاتِ» (مت ١٨: ١٠). وَهُمْ أَيْضاً الَّذِينَ يَرْفَعُونَ صَلَوَاتِ
القديسين إِلَى اللَّهِ (رؤ ٨: ٣)، وَيَقُودُونَ نَفُوسَ الْأَبْرَارِ إِلَى الْفِرْدَوْسِ
(لوقا ١٦: ٢٢).

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الطُّغْمَةَ الْمَلَائِكِيَّةَ بِقِيَادَةِ رَئِيسِ الْمَلَائِكَةِ
ميخائيل لَا يَنْفَكُونَ يُحَارِبُونَ وَيُدَافِعُونَ عَنِ الْكَنِيسَةِ ضِدَّ الشَّيْطَانِ،

يَهْتَفُ مُرْتَمٍ الْكَنِيسَةَ قَائِلاً: «لَقَدْ جَعَلْتَ الْجُوهَرَ الْعَارِيَّ مِنَ الْجَسَدِ
بَاكُورَةَ خُلُوقَاتِكَ، يَا صَانِعَ الْمَلَائِكَةِ، مُخْتَفَاً حَوْلَ عَرْشِكَ الطَّاهِرِ،
هَاتِفًا: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ أَنْتَ، يَا اللَّهُ الضَّابِطُ الْكُلَّ».

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح،
أيها المسيحيون الأتقياء،

إِنَّ نِعْمَةَ رَئِيسِ صُفُوفِ الْقُوَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْعُلُويَّةِ، رَئِيسِ الْمَلَائِكَةِ
الْمَجِيدِ مِيخَائِيلِ، قَدْ جَمَعَتْنَا الْيَوْمَ فِي هَذَا الدَّيْرِ الَّذِي يَحْمِلُ اسْمَ
رُؤَسَاءِ الْمَلَائِكَةِ، لِنَحْتَفِلَ بِعِيدِ تَذَكَارِ الطُّغْمَاتِ الْمَلَائِكِيَّةِ الْحَافِلِ،
الْإِلَهِيِّ الْبَهِيحِ، مُرْتَلِينَ وَإِبَاهِمَ اللَّهِ التَّسْبِيحَةَ الثَّلَاثِيَّةَ الْقُدْسِيَّةَ.

إِنَّ الطُّغْمَاتِ الْمَلَائِكِيَّةَ يُشْكِلُونَ الْعَالَمَ الرُّوحَانِيَّ السَّمَاوِيَّ، وَهُمْ
بَاكُورَةُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الرُّوحَانِيَّةِ غَيْرِ الْجَسَدِيَّةِ، مُتَمِّمِينَ إِرَادَتَهُ.

«وَبِحَسَبِ تَعْلِيمِ الْقَدِيسِ دِيُونِيسِيُوسِ الْأَرِيُوبَاغِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْأَهْوِ
السَّمَاوِيَّ»، فَإِنَّ الطُّغْمَاتِ السَّمَاوِيَّةَ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثِ طُّغْمَاتٍ:

الطُّغْمَةُ الْأُولَى وَالْأَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ هِيَ السِّيَرَاثِيمُ وَالشَّيْرُوبِيمُ وَالْعُرُوشُ،
وهؤلاء هم الذين يُحَافُونَ حَوْلَ الْعَرْشِ الْإِلَهِيِّ بِتَسْبِيحٍ لَا يَنْقَطِعُ، مُرْتَلِينَ:
«قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ».

أَمَّا الطُّغْمَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ السِّيَادَاتُ وَالْقُوَّاتُ وَالسَّلَاطِينُ، وَهَؤُلَاءِ
يَتَسَلَّلُونَ الْإِشْرَاقَ الْإِلَهِيَّ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَيُوزَعُونَ عَلَى مَا دُونَهُمْ.

وَأَمَّا الطُّغْمَةُ الثَّالِثَةُ، فَهِيَ الرِّئَاسَاتُ وَرُؤَسَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَالْمَلَائِكَةُ،
وهؤلاء يَتَوَجَّهُونَ مُبَاشَرَةً لِحِدْمَةِ الْبَشَرِ وَتَبْلِيغِ إِرَادَةِ اللَّهِ هُمْ. وَبِهَذَا يَبْقَى
النِّظَامُ السَّمَاوِيُّ مُنَظَّمًا عَلَى مَرَاتِبٍ وَطُّغْمَاتٍ، كُلٌّ يَتَمِّمُ إِرَادَةَ اللَّهِ فِي
مَوْضِعِهِ.»

لِذَلِكَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ، بِحَسَبِ الرُّسُولِ بُولُسِ الْقَائِلِ: «أَلَيْسَ هُمْ
جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً، مُرْسَلَةً لِلْحِدْمَةِ، لِأَجْلِ الْعَبِيدِ أَنْ يَرْتَوْا

المادّة والجسيم.».

فَلْتَضَرَّعْ إِلَى مِيخَائِيلَ الْمَجِيدِ، رَئِيسِ صُفُوفِ الْقُوَّاتِ الْعُلُويَّةِ، وَجِبْرَائِيلَ الْمُبَشِّرِ الْوَاقِفِ أَمَامَ اللَّهِ، أَنْ يَحْفَظَنَا وَيَسْتُرَنَا مَدَى الْعُمْرِ كُلِّهِ، وَفِي سَاعَةِ الْمَوْتِ يَكُونَا حَاضِرَيْنِ، مُعَيَّنَيْنِ، حُنُونَيْنِ، شُفُوفَيْنِ عَلَيْنَا. وَمَعَهُمَا نَطْلُبُ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ شَفَاعَةَ سَيِّدَتِنَا وَالِدَةِ الْإِلَهِ الدَّائِمَةِ الْبَتُولَةِ مَرْيَمَ، الْأَرْفَعِ مَجْدًا مِنْ جَمِيعِ الطُّعْمَاتِ الْمَلَائِكِيَّةِ، هَاتِفَيْنِ مَعَ الْمُرْتَلِّ:

«إِنَّا مُلْتَجِئُونَ إِلَى كَنْفِ جَنَاحَيْكَ الْإِلَهِيِّينَ، يَا رَئِيسَ الْمَلَائِكَةِ مِيخَائِيلَ الْعَقْلِ الْإِلَهِيِّ، فَاحْفَظْنَا وَاسْتُرْنَا مَدَى الْعُمْرِ كُلِّهِ، وَفِي سَاعَةِ الْمَوْتِ كُنْ حَاضِرًا مُعِينًا، حُنُونًا، شُفُوفًا عَلَيْنَا» آمين.



مَعَ أَدْعِيَّتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الْأُبُويَّةِ

البطريك ثيوفيلوس الثالث

بطريك المدينة المقدسة اورشليم

كَمَا فِي سِفْرِ الرُّؤْيَا « وَحَدَّثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلَائِكَتُهُ حَارَبُوا التَّنِينَ، فَطُرِحَ التَّنِينُ الْعَظِيمُ، الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، إِلَى الْأَرْضِ » (رؤيا ١٢: ٧-٩).

وَهُمْ أَيْضًا وَاقِفُونَ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، قَائِلِينَ: « قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الْإِلَهِ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي » (رؤيا ٤: ٨).

وَالْعَمَلُ اللَّيْتُورْجِي (أَيُّ الْخِدْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ) لِلْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ مُرْتَبِطٌ بِالْعَمَلِ اللَّيْتُورْجِي لِلْكَنِيسَةِ الْمُجَاهِدَةِ عَلَى الْأَرْضِ، بِحَسَبِ التَّسْبِيحِ الْمَلَائِكِيِّ: « الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَفِي النَّاسِ الْمَسَرَّةُ » (لوقا ٢: ١٤). كَمَا يَشْهَدُ الْمَزْمُورُ: « وَالسَّمَاوَاتُ تَعْتَرِفُ بِعَجَائِبِكَ يَا رَبِّ، وَحَقِّكَ أَيْضًا فِي جَمَاعَةِ الْقِدِّيسِينَ. لِأَنَّهُ مَنْ فِي السَّحَابِ يُعَادِلُ الرَّبَّ؟ » (مزمور ٨٨: ٦-٧).

أَمَّا عَنْ طَبِيعَةِ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا الدَّمَشَقِيُّ:

«الْمَلَائِكَةُ جَوْهَرٌ عَقْلِيٌّ، دَائِمٌ الْحَرَكَةِ، مُطْلَقٌ الْحُرِّيَّةِ، لَا جِسْمَ لَهُ، يَخْدُمُ اللَّهَ وَيَتَمَتَّعُ بِنِعْمَةِ الْخُلُودِ. أَمَّا نَوْعُ جَوْهَرِهِ وَتَحْدِيدُهُ فَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الْخَالِقُ وَحْدَهُ. وَيُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ لَا جِسْمِيٍّ وَلَا مَادِيٍّ، وَذَلِكَ بِالنَّسَبَةِ إِلَيْنَا نَحْنُ الْبَشَرُ. لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِالْمُقَابَلَةِ مَعَ اللَّهِ - الَّذِي هُوَ وَحْدَهُ لَا يُضَاهِيهِ شَيْءٌ - يَبْدُو كَثِيفًا وَمَادِيًّا. وَبِالْحَقِيقَةِ إِنَّ اللَّاهُوتَ وَحْدَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ



العناية الإلهية تعمل دائماً لخلاصنا. وما يطلبه الرَّبُّ مِنَّا هو فقط أن نحيا في سلام وثقة، وأن نُصَلِّيَ بلا انقطاع، وأن نترك همومنا بين يديه. غير أن الصلوات والابتهالات وحدها لا تقود إلى الكمال، إن لم تُرافق بالطاعة لمشيئة الله. فالوصية التي تحتّم كلّ الحياة الروحية هي ألا يكون ما نريده نحن، بل ما يريده هو، بالتمام كما يُصنع في السماء من قِبَلِ الْمَلَائِكَةِ. حينئذٍ، ومع المسيح الساكن فينا، يمكننا أن نقول: «يا رب، ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت؛ لنكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

(القديس نكتاريوس)

إنَّ الصَّلَاةَ هِيَ الْمِفْتَاحُ الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيُدْخِلُ النَّفْسَ فِي شَرَكَةِ مَعَ خَالِقِهَا. وبالصلاة تجد النفس طريقها إلى الخلاص.

لقد خُلِقَ الْإِنْسَانُ لِكَيْ يُرْتَمَ بِمَجْدِ اللَّهِ. وهذا هو عمله الأساسي، الذي يُظْهِرُ جَوْهَرَهُ الرُّوحِيَّ وَيُبَرِّزُ مَكَانَتَهُ السَّامِيَّةَ فِي الْخَلِيقَةِ. وبما أَنَّهُ مَخْلُوقٌ عَلَى صُورَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ نَفْسَهُ تَشْتَاقُ وَتَتَوَقَّعُ إِلَى الْإِتِّحَادِ بِهِ، وَمِنْ خِلَالِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ يَمْتَلِئُ فَرَحًا وَابْتِهَاجًا وَحُلَاوَةً سَمَاوِيَّةً.

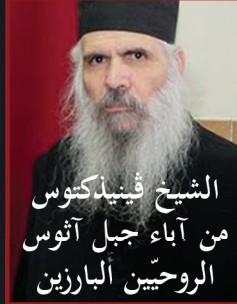
إنَّ الصَّلَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ لَيْسَتْ عَادَةً شَكْلِيَّةً، بَلْ هِيَ ثَمَرَةُ التَّوَاضُعِ، وَالشُّعُورِ بِعَدَمِ الْاِسْتِحْقَاقِ، وَالْخُضُوعِ الْكَامِلِ لَوْصَايَا اللَّهِ. فَكُلَّمَا ابْتَعَدَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَذَاتِ الْحَيَاةِ، تَذَوَّقَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ الطُّوبَاوِيَّةَ السَّمَاوِيَّةَ. الصَّلَاةُ تَكْسُوهُ بِخَيْرَاتِ السَّمَاءِ وَتَجْعَلُهُ شَرِيكًا فِي الْفَرَحِ الْإِلَهِيِّ.

الرَّبُّ يَعْرِفُ أَحْتَاجَاتِنَا وَأَشْوَاقَنَا أَفْضَلَ مِنَّا، وَيُتِمِّمُهَا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرَاهَا هِيَ نَافِعَةٌ. وَلَيْسَ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَنْذَمَّرَ إِنْ لَمْ تُسْتَجَبْ طَلِبَاتُنَا، لِأَنَّ



وهو الذي ترجم هذه العظة من اليونانية القديمة كتاريفوسا، الى اليونانية الحديثة

عظة
بامتياز



الشيخ فينيذكتوس
من آباء جبل آثوس
الروحانيين البارزين

الشيطان وأعمال السحر للقدّيس يوحنا الذهبي الفم

بالصليب أبطل المسيح سلطان الشيطان، وبقيامته أشرق النور الذي أباد ظلمة الجحيم وأبطل كل مكر وخداع للعدو

يقول أحد الحكماء في الكتاب المقدس: «يَحْسَدُ الشَّيْطَانُ دَخَلَ الْمَوْتُ إِلَى الْعَالَمِ» (سفر الحكمة ٢: ٢٤).

فقل لي إذا: إن لم يكن قد سقط قبل خلق الإنسان، فكيف كان يمكنه أن يحسد الإنسان؟ إذ لو كان لا يزال يحتفظ برتبته، لما وُجد مبرر لحسد ملاك تجاه إنسان، خصوصاً إذا كان ذاك الملاك في كرامة عظيمة، وهذا الآخر مخلوقاً جسدياً. ولكن، بما أن الشيطان سقط من المجد العظيم الذي كان له، إلى الحالة الأسوأ - وهو غير جسدي - وعندما رأى الإنسان المخلوق ذا الجسد قد نال إكراماً عظيماً من محبة خالقه، امتلأ حسداً. ومن خلال الخداع الذي قدّمه للإنسان بواسطة الحيّة، جعله مستوجباً لعقوبة الموت. لأن هذا هو طبع الشر: لا يتحمل بهدوء سعادة الآخرين. فإن حقيقة أن الشيطان، في الزمن القديم، ومعه كامل جنده، قد سقطوا من تلك الكرامة والمجد، وأصبحوا الآن من زمرة الذين فقدوا الإكرام، هي أمرٌ يعرفه الجميع.

اللامبالاة، والكبرياء، واليأس، كانت هي أسباب سقوطه.

كان الشيطان، قبل سقوطه، صالحاً. ولكن، لأنه أبدى لامبالاةً، واستعبد باليأس، سقط في شرٍ عظيمٍ إلى حدٍّ لم يُعد ممكناً له أن ينهض بعده. وأمّا كونه كان صالحاً، فهذا يظهر أيضاً من الكتاب المقدس، إذ يقول: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ». (لوقا ١٠: ١٨). فالتشبيه في سقوطه بالبرق يظهر أيضاً حالته السابقة، وكذلك سرعة سقوطه.

كما سقط الشيطان بسبب الكبرياء، كذلك أيضاً الإنسان الذي يقبل تأثيره (أي تأثير الشيطان)، يتمرن على الكبرياء (أي يتأثر وينجرف نحو السقوط). ولذلك، يجب على الجميع أن يحرصوا على الابتعاد عن هذه الآفة، لئلا تقع في نفس خطيئته، وتُصبح مستحقين لنفس الجحيم وشركاء في عقابه.

لم يُصبح الشيطان على ما هو عليه بسبب أمر آخر، بل فقط لأنه سقط أولاً في اليأس، ومن اليأس سقط لاحقاً في الكبرياء.

فَحَوَى الْعِظَةُ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْغِلَافِ الْخَلْفِيِّ لِلْكِتَابِ.

يجب أن نُصَلِّي باستمرار، لكي يُسْحَقَ الشَّيْطَانُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا. فَإِنَّهُ عَدُوٌّ الْحَيَاءِ، وَلَا نَفْعَ لَهُ رُوحِيًّا (هو مِثَالٌ يُتَّخَذُ بِهِ فِي التَّجَنُّبِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، لَكِنْ وُجُودُهُ فِي ذَاتِهِ يُفِيدُنَا، كَمَا سَنَرَى لَاحِقًا). إِنَّهُ يُجَارِبُ مِنَ الْأَسْفَلِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَهُوَ يَنْتَصِرُ. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّنَا لَا نُحَاوِلُ نَحْنُ أَنْ نَرْتَفِعَ فَوْقَ ضَرْبَاتِهِ. فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْتَفِعَ إِلَى الْأَعْلَى، بَلْ يَزْحَفُ زَحْفًا. وَصُورَةُ الشَّيْطَانِ هِيَ الْحَيَّةُ. وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَهُ كَذَلِكَ مِنْذُ الْبَدَءِ (فِي الْفِرْدَوْسِ)، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآنَ، بَعْدَمَا صَارَ اللَّهُ إِنْسَانًا، لِيُخَلِّصَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَيَجْعَلَهُ إلهًا بِالنَّعْمَةِ.

لَكِنْ مَاذَا يَعْنِي أَنَّهُ يُجَارِبُ مِنَ الْأَسْفَلِ؟ أَيُّ إِنَّهُ يُوجِّهُ ضَرْبَاتِهِ مِنْ خِلَالِ الْأُمُورِ الْأَرْضِيَّةِ: مِنْ خِلَالِ اللَّذَّةِ، وَالْغِنَى، وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ. لِذَلِكَ، إِنْ رَأَى إِنْسَانًا يُخَلِّقُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقْفِرَ إِلَيْهِ. وَحَتَّى إِنْ جَرَّبَ ذَلِكَ، فَسَيَسْقُطُ سَرِيعًا. لِأَنَّهُ بِلَا أَقْدَامٍ - فَلَا تَخَفْ! - وَبِلَا أَجْنَحَةٍ - فَلَا تَرْتَعِبْ! - إِنَّمَا يَزْحَفُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَتَمَسَّكُ بِالْأُمُورِ الْأَرْضِيَّةِ فَقَطْ.

فَلَا تُكُنْ لَكَ أَيُّ عَلاَقَةٍ بِالْأَرْضِ، وَلَنْ تَحْتَاجَ إِلَى أَيِّ عَنَاءٍ. لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْقِتَالَ وَحَقًّا لَوْحِهِ، بَلْ مِثْلَ الْحَيَّةِ يَخْتَبِئُ فِي الْأَشْوَكَ، مُتَرَصِّدًا دَائِمًا بِخِدَاعِ الْغِنَى. وَإِنْ قَطَعْتَ الْأَشْوَكَ، سَيَهْرُبُ سَرِيعًا، لِأَنَّهُ جَبَّانٌ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ كَيْفَ تَسْتَخْدِمُ ضِدَّهُ الْإِبْتِهَالَاتِ وَالْوَسَائِطِ الْإِلَهِيَّةِ، فَسَيُجْرَحُ عَلَى الْفُورِ. فَإِنَّ لَدَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا تَضَرُّعَاتٍ رُوحِيَّةً، وَهَذِهِ هِيَ: اسْمُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَقُوَّةُ الصَّلِيبِ. فَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ الْمُقَدَّسَةُ لَا تُخْرَجُ الْحَيَّةُ مِنْ جُحْرِهَا وَتَطْرُقُهَا فِي النَّارِ فَقَطْ، بَلْ تَشْفِي أَيْضًا الْجِرَاحَ.

القسم الأول: الشيطان

زمن سقوطه وسببه

تعلّمنا الكتب المقدسة أن الشيطان، مع أولئك الذين كانوا معه، قد سقطوا من رُتبهم قبل خلق الإنسان الأول، وذلك بسبب كبريائهم. وقد كانت نتيجة سقوط الشيطان هي دخول الموت إلى العالم، كما

ملحوظة :

يذكر القديس يوحنا الذهبي الفم في هذا الموضع أنَّ الشيطان لم يسقط بسبب الكبرياء أولاً، بل بسبب «اليأس»، ويجعل اليأس سابقاً للكبرياء. وهذا التسلسل قد يبدو غريباً على السامع أو القارئ، إذ إنَّ التقليد الكنسي يضع عادة الكبرياء كبداية سقوط الشيطان.

إلا أنَّ الذهبي الفم يقترح هنا تسلسلاً داخلياً نفسياً لحالة الشيطان: أنَّه أولاً أهمل الجهاد الروحي (أظهر تراخيًا)، ثم بعد ذلك وقع في نوع من اليأس الداخلي بسبب ابتعاده عن النور الإلهي، لكنه بدلاً من التوبة والرجوع، اختار التمرد، فلبس الكبرياء، وقال: «أصعد وأصير مثل العلي».

بهذه الطريقة، يُظهرُ الذهبي الفم أنَّ التهاون، ثم اليأس، ثم الكبرياء، هو مسار خطير ينتهي بالسقوط الكامل. وهذا التحليل الآبائي النفسي يعطي بُعداً جديداً لفهم ديناميّة السقوط في النفس الروحيّة، وليس مجرد خطأ مباشر في الإرادة أو الفكر.

وإذ تُمنح النظر في هذا السياق، ندرك أنَّ الملائكة أنفسهم خُلِقوا أحراراً في البداية، وكانوا مختارين أن يشبوا في النور الإلهي أو لا. والشيطان كان من الكارويم - أي من الطغمان العليا - لكنّه، بإرادته، سقط نتيجة تمرد داخلي ناتج عن إهمال ويأس وكبرياء. وبعد هذا السقوط، لم تعد له القدرة على التوبة، ولا إمكانية للعودة، لأنّه اختار بإرادته الحُرّة طريق الانفصال عن الله، فاستقرّ في «حالته الساقطة»، وصارت النعمة الإلهية تقيده وتحدّه، دون أن يكون له حرية القرار كما في البدء.

هذا التعليم يُشير إليه عدد من الآباء مثل القديس يوحنا الدمشقي، والقديس غريغوريوس النيصصي، حيث يوضحون أنَّ القوات العلوية تمتنعوا بالحرية إلى أن تمّ الفرز: البعض ثبتوا في النعمة بإرادتهم، والبعض الآخر - وعلى رأسهم إبليس - سقطوا بكامل إرادتهم. ومنذ ذلك الحين، استقرّت القوات الباقية في النعمة، ولكن بدون إمكانية السقوط أو التغيير، أي: حُرمت من «إمكانية التبدّل»، لا لأن الله منعها، بل لأنها ثبتت نهائياً في النور. (انتهت الملحوظة).

الحسد الذي ملأ الشيطان

إني أتعجّب من حسد الشيطان وغيرته، لأنَّ ذاك الروح الشرير لم يكن قادراً أن يحتل أن يرى سلوكاً ملائكياً في جسد بشري، أي أن يرى البشر يعيشون كالملائكة في الفردوس.

كما طرد هو بسبب كبريائه، هكذا أراد أن يسقطكم أيضاً:

كما أنَّه، عندما تكبر، طرد من الكرامة التي مُنحها، هكذا بالضبط أراد أن يفعل بكم أنتم البشر أيضاً. فبواسطة مخالفة وصيّة الله (من قبل الأبولين الأولين في الفردوس «آدم وحواء»)، سعى لأن يقودكم إلى عقوبة الموت، لكي يُشبع حقه وحسده.

الشيطان وحسده القاتل منذ البدء:

الشيطان، الذي تتحرّكه الكراهية والحسد، لم يكن يحتمل كثرة الإحسانات التي أعطيت فوراً ومنذ البدء للإنسان، فانقضّ بالحسد إلى الخداع، ذلك الخداع الذي يجلب الموت.

رئيس هذا العالم والزمان الحاضر

«لأنَّ رئيسَ هذا العالم يأتي وليس له في شيء». (يوحنا ١٤ : ٣٠). يسمّي الرّبُّ الشيطان «رئيسَ هذا العالم»، وهكذا يُطلق هذا الاسم أيضاً على البشر الأشرار. فالشيطان ليس رئيس السماء والأرض، إذ لو كان كذلك لقلب كلَّ شيء ودمّر كلَّ شيء. بل هو رئيس أولئك الذين

يُسلمون أنفسهم له. ولهذا يدعو الكتاب أيضاً «رئيس الظلمة» و«رئيس هذا الدهر» (أف ٦ : ١٢).

ولكن، لماذا يدعو «رئيس هذا الدهر» و«رئيس هذا العالم»؟ لأنَّ غالبية البشرية سلّمت نفسها له، وكلّهم صاروا عبيداً له بإرادتهم واختيارهم الحرّ. أمّا المسيح، الذي يعدنا بخيرات لا تُحصى، فلا أحد يكثر له. بينما لذلك (أي للشيطان)، الذي لا يعدُّ بشيء، بل يُرسل إلى الجحيم، يُطيعونه جميعاً!

ولكن، إن كان هو (الشيطان) رئيس هذا الدهر، ويملك عدداً من الناس أكثر ممّا الله، وإن كان عدد الذين يُطيعونه أكثر من الذين يُطيعون الله، فهذا إمّا يحدث بسبب كسلنا نحن، (أي بسبب تهاوننا، ولا مبالاة، وخمولنا الروحي).

متى يسمح الله للشيطان أن يهاجمنا؟

ويُسمح الله بمحجوم الشيطان ضدينا، إمّا عندما يريد أن يؤدّب (لكي نصير أكثر تعقلاً)، أو عندما يطلب تعويضاً (أي نوعاً من الإنصاف)، أو عندما يُجرب الإنسان أكثر، كما فعل مع أيّوب.

أترى أن الشيطان لم يقترب من أيّوب، ولا تجرأ أن يدنو منه، بل كان يخاف ويرتجف، لأنَّ أيّوب كان إنساناً لله.

ولم أذكر أيّوب؟ لأنَّ الشيطان عندما هاجم يهوذا، لم يتجرأ أن يستولي عليه بالكامل ويدخل فيه، إلا بعدما فصله المسيح عن الجماعة المقدسة للتلاميذ. ففي البدء، هاجمه من الخارج، ولم يكن يستطيع الدخول فيه. ولكن عندما رآه قد انفصل عن الجماعة المقدسة، انقضّ عليه بأشدّ عنف من أيّ ذئب، ولم يبتعد عنه حتى قتله بالموت المزدوج، أي الموت الروحي والجسدي.

إنّه وحشٌ مُجرّم (الشيطان)، يُحرّك كلَّ شيء ويصنع كلَّ شيء ضدَّ خلاصنا. ودليل شرّه:

لديك سيّدٌ مُحبٌّ للبشر، هو المسيح. فهو يقبل، في رحمته، أن يسمع منك كلمات تجديف، ولا يسلمك بسهولة إلى الشياطين، لكي لا تتعلّم منهم، من خلال الخبرة القاسية، كيف يسودون ويتسلّطون. لأنّه حينها، من خلال تلك المعاناة، كنت ستتعرف بوضوح كامل على شرهم

وبكلام آخر: لأنَّ المسيح، بدافع رحمته، لا يسلمك بسهولة إلى الشياطين، لكي لا تضطرّ أن تتعلّم، عبر الألم والمعاناة، كيف يقهر الشياطين الإنسان، وكيف يُظهرون شرهم حين يُنحون السلطة عليه. فهو يتجنّب أن يدعك تسلك هذا الطريق المرير لفهم شرهم، بل ينتظر توبتك برأفة وصبر. لكن، حتى الآن، أستطيع أن أظهر لكم هذه الحقيقة من خلال مثال صغير: لقد التقى المسيح رجلاً ملبوساً بالشيطان (متى ٨ : ٢٨) حين خرجا من القبور، وكان الشياطين يتوسّلون إليه أن يأذن لهم بالدخول إلى قطيع الخنازير. فأذن لهم، فدخلوا القطيع، وألقوا به على الفور إلى الهاوية.

هكذا يسود الشياطين ويتسلّطون. مع أنهم لم يكن لديهم أيّ سبب خاص لفعل ما فعلوه مع الخنازير. أمّا معك، فهناك معركة غير قابلة للمصالحة، وعداوة لا تموت، وحرب لا تعرف ميثاقاً.

لا شيء أنجس من الشيطان

لا يوجد شيء أكثر نجاسة من الشيطان. فهو في كُلِّ مكان، يحيط أولئك الذين يتبعونه بعناءٍ باطلٍ ويقودهم إلى الهلاك. ولا يكفي بعدم منحهم أي مكافأة، بل يجعلهم أيضًا مسؤولين عن الهلاك الأبدي (الجحيم). إنَّه يعرف كيف يفرض عليهم لا تعليمًا فقط، بل حتى صومًا من نوعٍ رديٍّ للغاية، وعقَّة (بتولية) لا تحصد أيَّ أجرٍ من الله، بل تجلب عليهم ضررًا كبيرًا.

حيلة وخداعه

كثيرة هي حيلُه، أي الطرق التي يحاول بها أن يُوقع أولئك الذين يعيشون في التراخي. وعلينا أن نعرفها جيدًا لكي نتجنب مكايده، ولا نترك له أيَّ مدخل. بل يجب أن نتحلَّى بدقَّة في كلامنا، وثباتٍ في أنظارتنا، ونقاءٍ في أفكارنا، وأن نكون في يقظةٍ دائمة، تمامًا كما لو أن وحشًا مفترسًا هاجمنا، وحاول أن يفترسنا.

درع الله الكامل بحسب الرسول بولس

لهذا السبب، فإنَّ تلك النفس السامية الممتدة حتى السماء، معلَّم الأُمم، بولس، لسان المسكونة، ذاك الذي يفعل كلَّ شيء من أجل خلاص تلاميذه، بعدما قال: «البسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلِ»، ليحمينا من كُلِّ جانب، ويجعلنا غير قابلين للهزيمة، أضاف قائلاً: «فَاقْبِضُوا مُنْطِقَيْنِ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلَا بَسِيْنَ دِرْعِ الْبِرِّ، وَخَازِنِ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلَامِ. حَامِلِينَ قَوْكَ الْكُلِّ ثَرَسَ الْإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشَّرِّيرِ الْمُتْلِهَةِ. وَخُذُوا خُوذةَ الْخَلَاصِ (لكي تحموا أذهانكم وتحفظوها من الأفكار المملوءة بالشك). وخذوا سَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْمُضِيَّة» (أفسس ٦: ١٤-١٧).

تدبير الله في حماية الإنسان من كُلِّ جهة

أرأيت كيف أحاطَ بكلِّ أعضاء الجسد من كُلِّ الجهات؟ فكما لو أن أحدهم مزعج أن يُخرجنا إلى حربٍ ما، كذلك هو أولاً حصننا بالحزام، لكي نجري بسهولة. ثم ألبسنا الدرع، حتى لا تصيبنا سهام الظلم، وغطَّى أرجلنا، ومن كل جانب حمانا بالإيمان! لأنَّ هذا الأخير، كما يقول، هو القادر أن يُطْفِئَ حتى السهام النارية للشديد.

عمل الشيطان: تعدُّد الآلهة وعبادة الأوثان

إنَّ عمل الشيطان هو التعدُّد الدينيَّة (تعدُّد الآلهة) وعبادة الأوثان. فالشياطين يقودون الناس نحو الأصنام، ويعدوهم عن الله، ويقنعونهم ألا يؤمنوا بالحياة المستقبلية. والشيطان، حتَّى وإن لم يُشتم، يضرُّ أولئك الذين يؤمنون به ويكرّمونه.

كان عند الوثنيين عادة أن يؤهِّوا البشر. أكتب هذا لكي، عندما يسألك أحدهم: «من أين نشأت هذه الأمور؟»، تعرف كيف بدأت. فقد ألهموا حتى الرسل، رغم أنهم كانوا بشرًا، «فَالْجُمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولُسُ، رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةٍ لِيكَاوْنِيَّةَ قَائِلِينَ: «إِنَّ الْآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَّلُوا إِلَيْنَا». (أعمال ١٤: ١١). وبنفس الطريقة، بذل إبليس في البدء جهودًا كبيرة لكي يُدخِل في الناس التجديف والنجاسة، إذ قال:

ملحوظة: هذه الحرب الروحية التي يشنّها إبليس وجنوده ضد النفس البشرية ليست كالحروب الزمنية التي قد تنتهي باتفاق أو هدنة. بل هي حرب أبدية الطابع، غير قابلة للتفاوض، لا تعرف شفقة، ولا سلام معها حتى النهاية. الشيطان لا يرضى إلا بهلاك الإنسان. ولذلك، لا ميثاق ولا مصالحة مع قوى الظلمة «وحرب لا تعرف ميثاقًا» تعني أن المعركة بين الإنسان والشيطان هي وجودية، سرمدية، حاسمة، لا تنتهي بهدنة أو تسوية. ولذا يدعون الآباء إلى التيقُّظ الدائم، والتسلُّح بسلاح الله الكامل (أف ٦)، لأنه لا يوجد سلام بين النور والظلمة. (انتهت الملحوظة)

لذلك، **سمح الله** لهم أن يندفعوا نحو قطع الخنازير، لكي تتعلَّم من خلال تلك الحيوانات غير العاقلة مدى شرهم. ومن الواضح للجميع أنهم كانوا سيفعلون الشيء ذاته بتلكما الممسوسين، أي ما فعلوه بالخنازير، لو لم يكن هذان الممسوسان، حتى في وسط جنونهم، **موضوع** عناية الله ورعايته.

ملحوظة: هذا المقطع يُشكِّل تنويعًا لفكرة الذهبي الفم: أن الله لا يسلم الإنسان بسهولة إلى الشياطين، وأنَّ ما سمح به في الخنازير كان ليُظهر للناس ما كان سيحدث لهم لو لم يكن الله يحفظهم بعنايته. فحتى في الجنون، نعمة الله تُظَلِّل الإنسان. (انتهت الملحوظة).

وترى شرهم عندما يُزعزعون ويقلقون نفس الممسوس بالشياطين. وتُصبر أيضًا **حُبَّة الله** للبشر، عندما ترى أنَّ شيطانًا وحشيًا وقويًا للغاية، يسكن في هذا الإنسان الملبوس، ويريد أن يُسقطه إلى الهاوية، فإنَّ الله يكبحه ويمنعه، ولا يسمح له أن يُفْرِغَ كامل قُوَّته، بل يأذن له فقط أن يُظهر من قُوَّته القليل، بمقدار كافٍ ليُوقظ الإنسان إلى التعقُّل، ويُظهر شرَّ الشيطان.

سمات الشيطان

من سمات الشيطان أن يُحدث ضجيجًا، ويثير الجنون، ويُشر ظلمةً كثيفة. أمَّا **سِمَةُ اللَّهِ** فهي أن يُبْرِ، وأن يُعلِّم بالحكمة الأمور التي تليق.

غاية وجوده

لهذا السبب **سمح الله** له أن يوجد، لكي يجعلك أقوى، وليُظهرَك مجاهدًا أكثر لمعانًا، ولكي تصير جهاداتك أكثر قيمة. فحين يقول أحدهم: «لماذا ترك الله إبليس؟»، أجِبْ بهذه الكلمات: إنَّ اليقِظين والساهرين لم يؤدِّوا منه قط، بل استفادوا أيضًا. لا عن إرادته، إذ إنَّ إرادته شريرة، بل بسبب شجاعة أولئك. ولكنك تقول إنه يغلب كثيرين؟ نعم، هو يغلب، ولكن بسبب تراخيهم هم، لا بقُوَّته هو.

منفعة وجوده لنا

قد يقول قائل: «لو لم يكن موجودًا، لما حصلت شرور عظيمة». ولكن، في تلك الحالة، لكانت جهنم بالنسبة لنا بلا مغفرة (أي لو لم يكن الشيطان موجودًا، **لَكَانَ** الله لا يغفر لنا خطايانا، ولكان من المستحيل أن نتفادى جهنم).

ذلك لأنَّ، الآن يا عزيزي، ما يتعلَّق بالجحيم أصبح أخفَّ وطأة (أي بسبب وجود الشيطان، صار لنا بعض العذر أمام الله). أمَّا لو كنَّا نرتكب الشرور بأنفسنا فقط، لكانت العقوبة لا تُحتمل (أي كانت جهنم مؤكَّدة لنا).

«وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ» (تك ٣: ٥). وإذا لم يتمكن من تحقيق ذلك، حاول أن يدخله لاحقًا، ساعيًا دومًا إلى زرع تعدد الآلهة في البشر.

أقوى أسلحة الشيطان: اليأس الداخلي

لا يوجد سلاح قوي بيد الشيطان مثل يأسنا. ولهذا، لا يفرح بنا الشيطان كثيرًا عندما نخطئ، بقدر ما يفرح عندما نستسلم لليأس.

ففي حالة ذلك الإنسان الذي ارتكب الزنا، يخاف بولس من اليأس أكثر من خوفه من الخطيئة نفسها.

انتبه، إذا، كيف أن بولس يخاف من اليأس كأنه سلاح عظيم بيد إبليس. لأنه بعدما قال لمن حوله: «لِذَلِكَ أَطْلُبُ أَنْ تُمَكِّنُوا لَهُ الْمَحَبَّةَ»، أضاف السبب أيضًا: «لِقَلَّا يُبْتَاعَ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْحَزْنِ الْمُفْرِطِ.» (٢ كور ٧: ٢).

النجدة قبل الغرق: دعوة للإنقاذ من الحزن القاتل

يقول: «الخروف داخل حلق الذئب». فلنُسرع إذا ونخطفه، قبل أن يهلكه الشيطان ويتلع أحد أعضائنا.

السفينة الآن وسط العاصفة. فلنحاول إنقاذها قبل أن تتحطم. لأنَّه كما تغرق السفينة عندما تنور الأمواج وترتفع من كُلِّ جانب، هكذا أيضًا النفس، إذا لَقَّها الحزن من كُلِّ الجهات، تغرق سريعًا إن لم يكن هناك من يمدَّ يده ويساعدها.

فالْحَزَنُ، الذي يكون مفيدًا لنا بعد السقوط في الخطيئة (لأنَّه يقودنا إلى التواضع بحسب مشيئة الله، وإلى توبة خلاصية)، يتحوَّل إلى هلاك، إن أفرطنا في استعماله (أي إن استسلمنا له بدرجة مُفرطة).

الشيطان يقطع رجاءنا بالله

لهذا السبب يزرع الشيطان فينا أفكار اليأس، لكي يقطع رجاءنا بالله، هذا الرجاء الذي هو المرساة الأمانة، دعامة حياتنا، الدليل الذي يقود إلى السماء، خلاص النفوس الذي يسعى هو (الشيطان) إلى هلاكها.

ف الكتاب المقدس يقول: «لَأَتْنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا» (رومية ٨: ٢٤).

هذا الرجاء إذا، الذي يشبه الحبل القوي المعلق من السماء، يحمل نفوسنا، وإذا يرفع أولئك الذين يتمسكون به بشدة، يصعد بهم تدريجيًا إلى العُلَى، ويُعليهم فوق أمواج مصائب الحياة.

أما إن تبلد أحدهم، وأصابه الفتور الروحي وترك هذه المرساة المقدسة، فسيسقط في الحال ويغرق في هاوية الشر.

هذا ما يعرفه الشيطان جيدًا. فبمجرد أن يُدرك أنَّ في ضميرنا ثقلًا من جراء أعمال شريرة، يأتي هو أيضًا ليضيف إلينا فكر اليأس، وهو أثقل من الرصاص. وإن قَلَبْنَا هذا الفكر، فسنجد أنفسنا لا محالة، بسبب الثقل، منساقين إلى الأسفل، فننقطع الحبال، ونهوي إلى أعماق الشرور.

يُعطي جرأة في الخطيئة

تنبَّه لما يفعله إبليس. هناك أمران: الخطيئة، والتوبة. الخطيئة هي جرح، أما التوبة فهي دواء. فكما أنَّ في الجسد جراحات وأدوية، هكذا أيضًا في النفس توجد خطايا وتوبة. لكن الخطيئة تحمل معها الحزن، فيما التوبة تمنح الجرأة أي الشجاعة الروحية والثقة في الاقتراب من الله.

فَرَكِّزْ، أَرْجُوكَ، كُلَّ أَنْتِبَاهِكَ عَلَى مَا أَقُولُهُ، لِئَلَّا يَخْضَلَ، إِنْ خَلَطْتَ تَسْلُسُلَ الْأُمُورِ، أَنْ تَقْقِدَ الْمَنْفَعَةَ.

يوجد الجرح، ويوجد الدواء.

توجد الخطيئة، وتوجد التوبة.

الجرح هو الخطيئة، وأما الدواء فهو التوبة.

الجرح يُسبب العَن، وأما الدواء فيُنقي العَن.

الخطيئة تُعَنُّ النَّفْسَ، وتُنتج الحزن والسُّخْرية،

أما التوبة فتُمنح الجرأة، والحرية (من الخطيئة).

التوبة تُطَهِّرُ وتمحو الخطيئة بواسطة سرِّ الاعتراف.

انتبه الآن!

فبعد الخطيئة تأتي الحزن،

وأما بعد التوبة فتأتي الجرأة (الباريسية).

هل انتبهت لما قلته؟

لقد قلبَ الشيطان هذا الترتيب،

فأعطى للخطيئة الجرأة،

وللتوبة سرِّ الاعتراف أعطى الحزن!

ملحوظة: تُشير **الباريسية** إلى: الحرية والجرأة في مخاطبة الله، نتيجة الطهارة والنعمة. الثقة والاطمئنان في حضرة الرب، كأبناء لا كعبيد. تُذكر مثلًا في: رسالة العبرانيين: «فَلْتَقَدِّمُ بِنَقَّةِ (παρρησία، باريسية parrhesia) إلى عرش النعمة» (عب ٤: ١٦). (انتهت الملحوظة).

أي إنَّ الإنسان يرتكب الخطيئة ولا يشعر بالخجل، لكنَّه يخجل عندما يذهب ليعترف بها. هذه حيلة شيطانية خبيثة. فعندما يُقدِّم الإنسان على الخطيئة، لا يدعه الشيطان يخجل، لكي يجرؤ لاحقًا على ارتكابها علنًا وبدون حياء. أما في ما يخصَّ التوبة (والاعتراف الذي يليها)، فإنَّ الشيطان يُلقي عليه الخجل، لأنه يعلم أنَّ الخجل سيمنعه من التوبة، وبالتالي لن يُشفى.

يخاف من الصلاة

لنَّ يخطئ أحد إن قال إنَّ الصلاة هي بداية كلِّ فضيلة وعدالة، وإنَّه لا يمكن لأيِّ من الوسائط الروحية التي تُسهِّم في التقوى أن تدخل نفسًا خالية من الصلاة والطلبية. فالنفس التي لا تسندها الصلاة تشبه مدينة بلا أسوار، ويمكن أن تُستسلم بسهولة للأعداء بسبب غياب أيِّ عائق. وهكذا، فإنَّ النفس التي لا تتحصَّن بالصلاة، يُخضعها الشيطان بسهولة، ويملاها بكلِّ خطيئة دون عناء.

في البداية، عندما يرى الشيطان نفسًا متدرةً بالصلاة، لا يجرؤ على الاقتراب منها، لأنَّه يخاف من القوة والقدرة اللتين تمنحهما الصلاة، وهي التي تُغذي النفس أكثر ممَّا تُغذي الأطعمة الجسد. ثمَّ إنَّ الذين يُصلُّون بتفانٍ لا يحتملون أن يُقاسوا شيئًا لا يليق بالصلاة. وإذا يشعرون بالخجل من الله الذي تواصلوا معه للتو، فإنَّهم يصدّون على الفور كلَّ خداع من الشرير.

وذلك لأنَّهم يُفكِّرون كم هو أمرٌ رديء أن يقع الإنسان، الذي كان قد تكلم منذ قليل مع الله، وتضرع إليه أن يمنحه العفة والقداسة، أن يقع في الحال في أحضان الشيطان، وأن يقبل في نفسه الشهوات القذرة، وأن

يسمح للتجربة أن تدخل إلى ذهنه، ذاك الذهن الذي **زاره الله** قبل لحظات. وأن يسمح للشياطين أن تتغلغل في نفسه، تلك النفس التي أظهرت **نعمة الروح القدس** نحوها **محبة كبيرة وعناية فائقة**.

الجزء الثاني بعنوان «السحر»

اللاعقلانية في العرافات وأعمال السحر

«أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِي إِنْاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لَا فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالْأَمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ.» (١ تسالونيكي ٤: ٤-٥).

هذه الكلمات تُوجز عادةً، وبشكل خاص، أولئك الذين سقطوا في لامبالاة كبيرة جدًا. ولكن، إن كان اليهود قد وُجّهت إليهم هذه التوبيخات، فماذا عنّا نحن؟ أيّ غفران يمكن أن نناله، وأيّ دفاع يمكن أن نقدمه، نحن الذين، بعد أن نلنا **نعمة عظيمة** بهذا المقدار، نعود ونسقط في نفس الفقر الروحي الذي كانوا فيه؟

لأنّ كثيرين، حتى في أيامنا، يستخدمون هذا المرض (**السحر والتنجيم**) ويدمرون حياتهم. فبعد أن سلّموا أنفسهم لجنون العرافين (المعرفة العرفيّة)، لا يصطدمون فقط **بالله**، بل يجنون أيضًا كأجرٍ على ذلك أحرانًا لا طائل منها، وينفصلون عن الجهاد في سبيل الفضيلة.

لأنّ الشيطان، من خلال كلّ هذه الأمور، قد أقنع أكثر الناس حماقةً بأنّ أعمال الفضيلة والشر لا تعتمد عليهم، وأنهم **لم يُكرّموا من الله** **بعطيّة حرية الإرادة**. وهو يسعى من خلال هذه الأفكار إلى تحقيق أمرين هما من بين الأشدّ هولًا: أن يُبطل جهادهم من أجل الفضيلة، وأن ينزع منهم تلك العطيّة العظيمة، **أي حرية الإرادة**، فيجعلهم عبيدًا للخطيئة. هذا المرض الرهيب، قد أدخله الشيطان إلى الإنسان تارةً من خلال **السحر**، وتارةً أخرى من خلال **الرموز**، وتارةً عبر **تمييز الأيام**، وأحيانًا بواسطة **التعليم الخبيث عن القضاء والقدر**، وأحيانًا أخرى بوسائل كثيرة أخرى، إذ يحدث اضطرابًا شاملاً في كلّ شيء.

ملحوظة: لا يُقصد بكلمة «الرموز» هنا تلك العلامات المقدّسة أو الإشارات اللاهوتية التي تحمل معنى روحيًا في الإيمان الأرثوذكسي، كالرموز الطقسية أو الصليب الشريف، بل يشير القديس يوحنا الذهبي الفم إلى الرموز الباطلة التي كان يستعملها الوثنيون والسحرة كوسائل خادعة لجلب الحظ أو طرد الشر، مثل التعاويذ، والطلاسم، والعلامات الغامضة المرسومة على الأجساد أو المنازل، وما شابهها من ممارسات تُنسب إلى السحر والشعوذة. فالشيطان، بحسب تعليم القديس، يُضلل الإنسان بهذه الرموز الزائفة ليصرف قلبه عن الثقة بالله، ويجعله يركن إلى قوى وهميّة وخرافات باطلة. ومن ثمّ، فالرموز هنا تُعبّر عن خداعٍ روحيّ مقنّع بثوبٍ من الورع الزائف، يُشوّه الإيمان القويم ويزرع الاضطراب في النفس. (انتهت الملحوظة).

الموت أفضل من الشفاء الشيطانيّ

ولهذا السبب نحن دُعينا، ونحن مسيحيّون، لكي **نطيع المسيح**، لا لكي **نركض إلى أعدائه**. وإن قال لك أحدهم إنّ هناك من يقدّم «علاجات» ويزعم أن السحرة (وجميع من يستخدم وسائل الشيطان) يَعدون بالشفاء، ولذلك يذهب إليهم، فاكشف له السحر الذي يستخدمونه، والكلمات السحرية، والتمايم، وأعمالهم الشيطانية. لأنّهُ

لا يبدو أنّهم يعالجون بأي طريقة أخرى، وهم في الحقيقة لا يشفون على الإطلاق. فهذا أمر غير موجود.

أمّا أنا، فأبلغ إلى حدّ آخر من التطرّف، وأقول هذا أيضًا: حتى ولو كانوا (السحرة) يشفون بالحقيقة، فأفضل لي أن أموت، على أن أركض إلى أعداء الله لكي أنال الشفاء. لأنّهُ ما النفع من الشفاء الجسدي إذا **هلكت النفس**؟! وما الفائدة من أن نحظى ببعض الراحة في هذه الحياة،

إن كنا سنُطرَح لاحقًا في نارٍ لا تخبو بتاتًا، ولا تُطفأ إلى الأبد؟

سَمَةُ مَنْ يُحِبُّ بِحَقِّ، هِيَ أَلَّا يَتَخَلَّى عَنْ مَنْ يُحِبُّهُ، حتى ولو قام أولئك الذين يحاولون إبعاده عنه بإقامة الموتى! وإن كان **الرَّبُّ** قد قال هذه الأمور لليهود، فكذلك بالأحرى يقولها لنا نحن، الذين اقتادنا إلى فلسفةٍ أسمى، وفتح لنا **باب القيامة**، ويحشّنا ألاّ نحتّم بالأمور الحاضرة، بل أن نوجّه رجاءنا كله نحو الحياة العتيدة.

«إبليس قاتل للناس» يقول السيّد المسيح

بعضهم يتباهى ويقول إنّ الشياطين يشفون. لكن لكي تتأكّد أنّ هذا غير صحيح، اسمع ماذا يقول **المسيح** عن **إبليس**: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتُ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قَتْلًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» (يو ٨: ٤٤). **الله يقول:** إنه قاتل للناس، وأنت تصرع إليه كما لو كان طبيبًا؟ فأبى عذرٍ سيكون لديك لتقوله، أخبرني، وأنت تُستدعى كمُثَمِّمٍ، لأنك فضّلت **السحر** على **وصيّة المسيح وسرّ** تديره الخلاصي؟

لأنّهُ **عندما يقول الله:** إنّ إبليس قاتل للناس، بينما يزعم البعض، خلاقًا للتدبير الإلهي، أنّه يمكنه أن يشفي الأمراض، فإن كنت أنت تقبل سحرهم وكلماتهم السحرية، فأنت لا تُظهر بشيء آخر سوى أنّك تعتبرهم أكثر موثوقيّةً من **الله** - وإن لم تقل ذلك بالكلام.

ملحوظة: المقصود بـ «التدبير الإلهي» هنا هو خطة الله الخلاصيّة وحكمته في قيادة التاريخ والإنسان نحو الخلاص. فالمؤمن الذي يظنّ أنّ الشيطان قادر أن يشفي، إنّما ينقلب على تدبير الله العادل الذي يسمح بالمرض أحيانًا لأجل خلاص النفس. وهكذا يُظهر في باطنه عدم ثقته بمحبة الله وبقوة نعمته الشافية. (انتهت الملحوظة).

وبما أنّ الشيطان قاتل للناس، فمن الواضح أنّ الشياطين الذين يخدمونه هم أيضًا قتلة للناس. وقد **علّمك المسيح** هذا الأمر من خلال أعماله عينها. فعندما سمح للشياطين أن يدخلوا في قطيع الخنازير، ألقوا ذلك القطيع بأكمله في الهوّة (متّى ٨: ٢٨-٣٤)، لكي تتعلّم أنّهم كانوا قادرين على أن يفعلوا الشيء ذاته بالبشر، **لو لم يمنعه الله**. لكنّه هو من كان يردعهم ويمنعهم، ولم يسمح لهم بأن يفعلوا شيئًا كهذا. وقد أظهرنا ذلك حين حصلوا على السلطان على الخنازير. فإن كانوا لم يُشفقوا على الخنازير، فبالأحرى لن يتورّعوا أن يفعلوا ما هو أسوأ بالبشر، لأنّهم قتلة للناس.

كيف تتحوّل الخسارة إلى ربح؟

هل أحزنك الشيطان عندما سلبك أموالك؟ أحزنه أنت أيضًا، ولا تمنحه أيّ فرح! إنّ لجأت إلى العرافين، فقد أسعدت الشيطان. أمّا إذا

أرضيت الله، فقد وجهت إلى الشيطان ضربة قاتلة.

وانتبه لما يجري: حتى الأموال لن تجدها، إن ذهبت إلى العرافين، لأن الأمور ليست في يدهم حتى يعرفوها. (وقد يحدث أحياناً أن يقولوا لك: «ستجدها هناك»، ويكون الأمر صحيحاً، لأنهم قد نالوا هذه المعلومة من الشياطين).

بل إنك تخسر نفسك أيضاً (عندما تذهب إلى العرافين)، وتصبح موضع سخرية من إخوانك، وحتى إن وجدت تلك الأموال، فستخسرهما مجدداً بطريقة شريرة. لأن الشيطان، إذ يعرف أنك لا تتحمل الخسارة، وأنت لأجل المال تُنكر **إلهك**، يكشف لك عن المال المفقود، حتى يتمكن مجدداً من خداعك وإبعادك **عن الله**.

وحتى لو حدث أن قال العرافون شيئاً صحيحاً، فلا تتعجبوا. فالشيطان روح غير جسدي، وهو الذي يُسلح هؤلاء اللصوص (أي العرافين)، لأن هذه الأمور لا تتم بدون الشيطان. فإن كان هو من يُسلحهم، فهو يعرف أيضاً أين تتجمع الأموال، فهو لا يجهل خدعته. ولكن الأمر الغريب ليس هذا. إذا رأى (الشيطان) أنك تحزن من الخسارة، يضيف خسارة أخرى. أمّا إذا رأى أنك لا تُعيرها اهتماماً وتردريها، فسيتوقف عن إزعاجك بهذه الطريقة.

الإنسان الذي يعرف الأمور والمخاطر في هذه الحياة، عندما يرى أن عاصفةً روحيةً على وشك أن تندلع (أي أن تجارياً وامتحانات قادمة)، وأن الأرواح الشريرة (أي الشياطين) تريد أن تُسبب غرقاً (روحياً)، يُبادر باتخاذ تدابير مناسبة **ثُرِي** الله.

هل وقعت سرقه؟ فم أنت بالرحمة (الصدقة) لتُخفف من ثقل السفينة. هل هجم اللصوص؟ أنت قدّم ما هو فاضل وزائد **للمسيح (أي للفقراء، لأن من يعطي للفقراء، إنما يعطي للمسيح نفسه)**. وبذلك تُعزّي فقر الذين لا يملكون. خفف من حمولة السفينة، لا تُمسك المال الزائد، لئلا تغرق السفينة.

أيها الرجال والنساء، **تجنبوا كل أعمال العرافة والخرافات**، فإنها من ضلالات الوثنيين والمنغمسين في الباطل. أن يقوم أحدهم، مثلاً، بتتبع صوت الغراب، أو ضجيج الفأر، أو صرير العارضة الخشبية.

أو أن يفرحوا بقاء أشخاص غير أخلاقيين، ويُقصون من حياتهم من يسلكون بالقداسة والتقوى، زاعمين أنهم سبب لألوف من الشرور. - فهذه كلها تُعدُّ ضللاً.

انتبه إلى عدد مكائد الشيطان. فهو لا يريدنا فقط عزلاً من الفضيلة، وذهننا منشغلاً بالشر، بل يدفعنا أيضاً إلى **كراهية** الذين يحيون حياة فضلة. كذلك، لا يكتفي بأن يجعلنا نرتكب الشرور، بل يُسارع ويجتهد ليجعلنا نألفها، مهيناً إيانا لارتكابها عن طيب خاطر.

لا تظنوا أن هذه الأمور تافهة أو عَرَضِيَّة، بل هي كافية لأن تُغرق نفساً وتُلقي بها في أعماق الجحيم.

«أنا نفس فلان!»:

أريد أن أستأصل مرضاً خطيراً من نفوسكم. فالكثير من السذج يظنون أن نفوس الذين يموتون ميتة عنيفة، تتحول إلى شياطين.

هذا غير ممكن. لأن نفوس الذين ماتوا ميتة عنيفة لا تتحول إلى شياطين، بل نفوس أولئك الذين يعيشون في الخطايا. وهذا لا يحصل بسبب تغيير جوهرهم، بل لأن ميولهم تشبه شر الشياطين.

ولكن، لأي سبب أدخل الشيطان هذا التعليم الشرير؟ لأنه أراد أن يُقوّض مجد الشهداء. فيما أنهم ماتوا ميتة عنيفة، أراد أن ينشر عنهم سمعة سيئة، فاخترع هذا التعليم الخبيث. غير أنه لم يُفلح، **لأن الشهداء، بنعمة الله، يحفظون مجدهم دائماً مُتَقَدِّمًا**.

ولكنه اخترع شيئاً آخر **أشدّ رعباً** من هذا: لقد أقنع، من خلال أفكاره هذه، السحرة الذين يخدمونه، بأن يقتلوا (في طقوس شيطانية) أجساد كثير من الشبان الطائشين، على أمل أن هؤلاء الشبان سيتحولون إلى شياطين، ليواصلوا خدمة السحرة في أعمالهم المظلمة. ولكن لا يمكن أن يحدث شيء كهذا أبداً.

قد يقول أحدهم: وماذا تقول، عندما يزعم الشياطين (لدى الذين يحاولون استحضار الأرواح بأساليب شيطانية) قائلين: «أنا نفس فلان»؟.

ملحوظة: «أنا نفس فلان!» Είμαι η ψυχή του τάδε «إيمي إي بسيخي توو تاذي»: تُستعمل أحياناً على ألسنة بعض «الأرواح» أو «الكيانات» المزعومة في الجلسات الشيطانية أو الخرافات الشعبية، وترادف قولهم: «أنا روح فلان الفلاني». غير أن هذا القول هو عمل شيطاني محض، لأن الشيطان - عدو الإنسان - يتقمص صور الموتى ويُضلل الناس بادّعاء أنه روح أحدهم، ليزرع الخوف والارتباك وينشر البدع. (انتهت الملحوظة).

لهذا السبب بالذات لا أُصدّق ذلك، لأنني أعلم أن الذي يتكلم هو الشيطان، ويقول ذلك لكي يخدع الذين يسمعون هذا الكلام. ولهذا أيضاً، فإن **بولس (الرسول)**، حتى عندما قال الشياطين الحقيقة في بعض الأحيان، أسكتهم، لكي لا يتخذوا من ذلك مناسبة لمزج الحق بالباطل، فيصبحوا موضع تصديق.

لأن كثيرين من الناس البسطاء لا يعرفون دائماً أن يميزوا إن كانت هذه الأمور التي يقولها الشياطين حقيقة أم زائفة، قام **بولس** بإقصائهم (أي الشياطين) نخائاً عن أن يؤخذ بكلامهم أو يُعتبروا جديريين بالثقة.

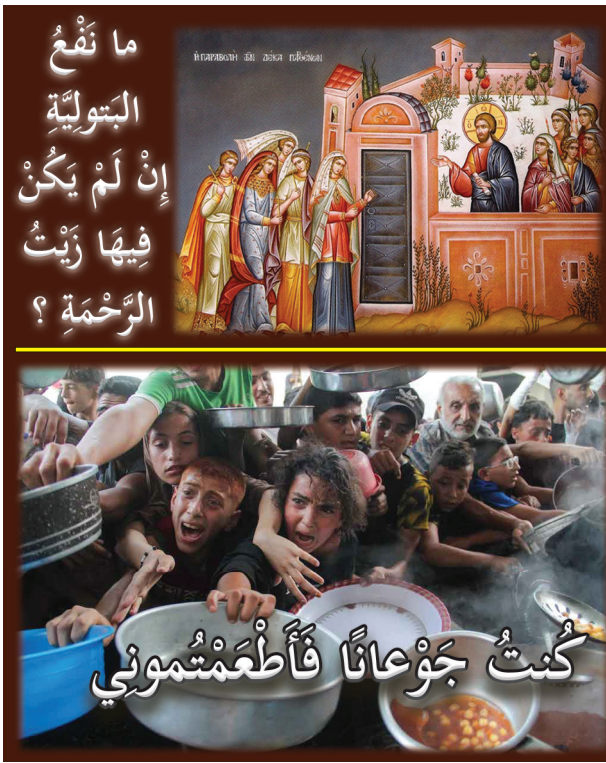
هكذا **فعل المسيح أيضاً**. فعندما قال له الشيطان: «أنا أعرفك من أنت: قُدُّوس الله!» (مر ١: ٢٤)، انتهزه بشدة بالغة، مبيناً بذلك أنه لا ينبغي للمرء أن يُطيع الشياطين في أي وقت، حتى وإن قالوا أمراً صحيحاً. لأن التعاليم المستقيمة والمخلصة لا تُتعلم من الشياطين، بل **من الإنجيل**.

إنّ الطاعة أو العصيان لنصائح الشيطان تعتمد علينا نحن. فهو لا يُجبرنا على شيء، لأننا لا نقع تحت سلطانه الاستبدادي، إلا إذا خضعنا له بإرادتنا.

ملحوظة: هذه الفقرة تُبرز حرّية الإرادة البشرية، وتؤكد أن الشيطان لا يستطيع أن يُرغم الإنسان على فعل الخطيئة. الإنسان لا يكون تحت سلطة الشيطان إلا إن اختار هو أن يخضع له. هناك تمييز دقيق بين التجربة والإجبار. الشيطان يُجرب، لكن لا يُكره؛ والإنسان حرّ في الطاعة أو العصيان. (انتهت الملحوظة).

المصدر: موقع أورثوذكسياً:

<https://sites.google.com/site/orthodoxy1054/o-diabolo-s-kai-e-mageia-agiou-ioannou-tou-chrysostomou>



الرحمة
في قمة
عطائها

يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمِّسِكَتْ
وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ

رحمة المسيح لا يُسَرُّ غُورُهَا غُفْرَ لَهَا وَأَقَامَهَا إِلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ
حَيْثُ تَسْكُتُ الدِّينَوْنَةُ وَيَبْدَأُ الْغُفْرَانُ

الصوم والرحمة
للقدّيس يوحنا الذهبي الفم

فإن كنت تريد أن تصير مريضاً لدى الله، فصُم مثل أهل نينوى يا أخي. فإن أولئك لم يكن عندهم ناموس، لكن عنهم يقول الرسول: «لأنّ الأمم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم» (رو ٢: ١٤). فلا تجعل صومك عاقراً؛ لأن الصوم وحده لا يرفعك إلى السماء إن لم يكن مصحوباً بأخيه الرحمة. إنهما معاً ثنائي لا ينفصل، مترابط ترابط الإخوة، بل ليسا ثنائياً فقط بل أيضاً مركبته. «أي وسيلة الصعود إلى السماء، أي المركبة الروحية التي ترفع الإنسان نحو الله، مثلما رُفِعَ إيليا النبي في مركبة نارية (راجع ٢ مل ١١: ٢)». ومن أين نرى هذه الحقيقة الأخيرة؟ الملاك قال لكرنيليوس: «صَلَوَاتُكَ وَصَدَقَاتُكَ صَعِدَتْ تَذْكَاراً أَمَامَ اللَّهِ» (أع ١٠: ٤). فأجنحة الصلاة هي أعمال الرحمة؛ وبدون هذه الأجنحة لا تطير الصلاة ولا ترتفع إلى السماء.

إلى متى محبة المال والرغبة في اقتناء الممتلكات؟ كل هذه، يا أخي، زائلة كالحياة الأرضية نفسها. قد تقول لي: قل ذلك لنفسك. وأنا أقولها لنفسي أيضاً يا إخوتي، ولكم جميعاً، لأن الوصية عامة. وأنا بسماعها أصير أفضل، وأدين لكم بالشكر. سواء أكان الذي ينصحني عبداً أم حرّاً، أقبل النصيحة بطيب خاطر. فليست مكانة الأشخاص هي التي تدفعني لقبول أقوالهم، بل منفعة النصيحة. فإن كان موسى العظيم، الذي تكلم مع الله، لم يرفض نصائح حميه الذي كان أمياً، بل قبلها وأيدها الله نفسه، فكم بالحري نحن؟

لا أقول لك أن تصير بلا مقتنيات، بل أن تنفق ما يفيض عنك على الفقراء، لكي يصير هذا الفائض سبباً لخلاصك. ألا ترون كم من البائسين على أطراف الطرقات يظنون مرضى وعرة؟ هم من أعمار مختلفة، الواحد يسند الآخر، والمشهد الذي يعرضونه لا يُحتمل.

أعطِ إذن شريكك في العبودية، لكي تجعل السيّد المسيح مديناً لك، ذاك المسيح الذي يُسرّ بأن يكون مديناً، ذاك الذي يعرف أن يردّ الأصل مع الفائدة. فإن كانت الفائدة عندنا جريمة، فهي عند الله مديح.

حسنٌ هو الصوم، وحسنة أيضاً دراسة الأسفار المقدسة، ولكن بشرط أن تُطبّق ما تقرأه. لأنك إن كنت تدرس الكتاب ولا تفعل ما تقرأه، فإنك تجلب على نفسك دينونة، ويصير لك هذا التعليم زاداً إلى الجحيم. «لأنّ ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يُبررون». (رو ٢: ١٣)، كما يقول بولس. والرّب نفسه يقول: «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطيئة، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيئتهم». (يو ١٥: ٢٢). طوبى لمن يتكلم في آذان سامعة، وبالأخص حينما يقدم السامعون الثمر. أما الثمر فهو الطاعة والعمل بوصايا الله، كما يقول الرّب: «وأنا لما أتيت طلبت ما هو لي مع الفائدة» «فلماذا لم تَصْغَ فُضِّي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ، فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رَبِّا؟» (لو ١٩: ٢٣).

فماذا جئت إذن، يا أخي، من الصوم؟ فإن الفلاح إنما يزرع لكي يحصد، والتاجر إنما ينتقلون من مكان إلى مكان ليجمعوا الأموال، وربّان السفينة إنما يشقّ البحار ليملاً المخزن. فلا تقل لي: لقد صمت أياًما كثيرة، لم أكل كذا وكذا، لم أشرب خمرًا، لم أذهب إلى الحمامات العامة. بل أرني إن كنت بعدما كنت سريع الغضب قد صرت حليماً، أو بعدما كنت قاسي القلب قد صرت رحيماً ومحباً للناس. إن كنت تسكر بالغضب، فلماذا تعذب معدتك؟ وإن كان الحسد والطمع يعيشان في داخلك، فما الفائدة من أن تشرب الماء وحده؟ إنّي لا أسألك أيّ مائدة ربّيت، بل إن كنت قد غيرت نفسك. فإن كانت السيّدة - أي النفس - تزني، فلماذا تجلّد الخادمة، أي البطن؟ وإن كانت النفس تنزلق إلى الشرّ، فلماذا تُمضي الجسد بالعذاب؟

لا أقول هذه الأمور من رغبة في توبيخكم، بل من أجل المتكاسلين. فمهما رأيتمكم ترتفعون عالياً، أريدكم أن ترتفعوا أكثر فأكثر؛ فهكذا هي العناية الساهرة التي تُلهمها المحبة. وكما أنّ محبي المال، مهما جمعوا من ذهب، يعطشون إلى المزيد، هكذا أنا أيضاً، تزداد عطشي على الدوام لتقدّمكم الروحي.

ألسنت تعطي الفقير؟ انتبه من هو الذي يطلب منك من ورائه، وأكرم ذاك الذي يقبل عطيتك بالحقيقة؛ **إِنَّهُ اللهُ نفسه**. الفقير يمدّ يده، **لكن الله هو الذي يأخذ**.

تأمل إلى أي حد تنازل **سيدك** لكي يلزمك ألا تكون قاسيًا ولا، لا إنسانيًا. يقول: «لَأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوِني. غُرِيابًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَخَبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي.» (متى ٢٥: ٤٢-٤٣).

ألسنت تعطي المسيح الجائع؟ أنت والفقير تتناولان معًا **جسد المسيح من المائدة المقدسة**، وتشتركان معًا من **الكأس المقدسة**. ففي الأمور العظيمة والمرهوبة يشترك معك، وفي الصغار لا تُعطيه؟ أم تظن أنك تعطيه من مالك الخاص؟ حتى إن كنت قد ورثتها من والديك وأجدادك، **فهو الله**. فلماذا تدفنها في الأرض؟ أعطِ الفقير، فيكون لك الحارس الأمين ذاته، **الرب نفسه**. ألا ترى الفلاحين ماذا يفعلون؟ كم من مرة لم يكن عنده ما يشتري به بذارًا، فيرهن ثيابه نفسها ليحصل على ما يحتاجه ثم يودعه الأرض. وكثيرًا ما تعيق العواصف حصاده، ومع ذلك يبقى دائمًا واثقًا وراجيًا في الأرض. فكم **بالحري الله**، ألا يستطيع أن يصنع ما تصنعه الأرض؟

اقتدِ بتلك الأرملة في العهد القديم، التي كان لها قبضة دقيق في الحجرة وقليل من الزيت في الكوز، ومن هذا استضافت **النبي** [أي النبي إيليا وأرملة صرقت صيدا] (١ ملوك ١٧: ٨-٢٤). أو بتلك الأرملة الأخرى في الإنجيل، التي كان لها فلسان فألقتهما للفقراء، وتفوقت على جميع الرُحماء، لأنها ألقت كل غناها.

تقول لي: أنا فقير أيضًا، لا أملك نقودًا. أليس عندك فلسان؟ وحتى إن لم يكن عندك، **فالرب** يطلب غنى النية الصالحة. لذلك قال: «وَمَنْ سَمَّى أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تَلْمِيذٍ، فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يَضِيغُ أَجْرَهُ» (متى ١٠: ٤٢). انتبه ماذا يقول: كأس ماء بارد، لا ساخن، لكيلا تُحرم الأجر بحجة أنك لا تملك حطبًا لتسخينه. والدولة، مهما فرضت عليك ضرائب، سواء كان عندك أو لم يكن، تعب لندفعها، فهي لا تهتم بقدرتك بل تطلب ما حددته. **أما الله فلا** يفعل ذلك، بل يطلب دائمًا ما تقدر عليه.

لماذا يوجد فقراء؟ أما كان **يستطيع الله** أن يُنزل ذهبًا من السماء؟ لكنه لم يفعل ذلك، لكي تكون فاقة أخيك سببًا لخلاصك. عظيم هو الإنسان ورجل كريم من هو رحيم. **أرأيت ما أعظم شأن الرحمة؟** **إن الله نفسه يُقارن الرُحماء بذاته**، إذ يقول: «فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ.» (لوقا ٦: ٣٦).

إن أتى الموت، تبقى النقود هنا. فلماذا إذن لا ترسلها سلفًا إلى هناك، لكي يشفع فيك الفقراء في ذلك اليوم، حين لا يكون لك محام آخر يدافع عنك؟ الفقراء سيظهرون الثياب والأغطية التي منحتم إياها، ويحفظونك من وسط لهيب الجحيم. لا يذيب الشمس الثلج بسهولة كما تُبِيد الرحمة كثرة من الخطايا حين تنسكب عليها.

ولكي تفهم عظم الرحمة، سأقارنها بفضيلة أخرى. **ما هو أشق من البتولية؟ لا شيء**. كثيرة هي الفضائل، بعضها عظيم، وبعضها أعظم،

وبعضها أقل، لكن لا توجد أصعب من البتولية، فهي تحارب الطبيعة نفسها. هذا الصراع بلا انقطاع، معركة لا تعرف سلامًا، إنما تُعاش فقط **بنعمة المسيح**. البتول تدوس وسط الأتون ولا تحترق، تمشي فوق الجمر المشتعل ولا تلتهب، تكون في الأتون لكنها تشعر بالندى، كما حدث **مع الفتية الثلاثة**. إنها تتسابق مع القوات غير المنظورة، تقتدي **بمخائيل وتنافس جبرائيل**.

في الفردوس كانت البتولية، لكنها تهدمت على يد التنين. ولهذا ففي الأزمنة التي تلت لم تكن ظاهرة. ولكن عندما **جاء يسوع المسيح، المولود من العذراء، ابن الله**، ظهرت من جديد. أتريد أن تعرف **عظمة البتولية؟ موسى** شق البحر، وغيّر الهواء، وأنزل المَن من السماء، ومع ذلك وُجِّهت إليه تهمة بسبب امرأته الكوشية، لأنَّ له زوجة. وأيضًا إبراهيم وإسحق ويعقوب، بل وحتى يوسف العفيف جدًا، كانت لهم زوجات.

أتريد أن تعرف كم هي **سامية البتولية؟** عندما **جاء المسيح**، لم يفرضها كوصية إلزامية؛ فقد جعل جميع الفضائل الأخرى ضرورية، أمّا هذه فتركها خارجًا، لكي، إن مارسها طوعًا، تُتَوَّج. والذين يمارسون التعفف والفرق الاختياري، ينالون أولًا هذه الفضيلة ويستخدمونها. «لأنَّه يُوجَدُ خِصَيَانِ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصَيَانِ خِصَاهُمْ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصَيَانِ خَصَوُا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ.» (متى ١٩: ١٢). **والرسول**، بعدما نظر إلى جميع الفضائل، عندما وقف أمام بحرها العظيم، قال: «وَأَمَّا الْعَذَارَى، فَالَيْسَ عِنْدِي أَثَرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ» (١ كو ٧: ٢٥). أرايت كم هي **عظيمة البتولية؟**

ومع ذلك، **بدون الرحمة** لا تفيد البتولية شيئًا. فالذين رحموا من دون بتولية أدخلوا كثيرين إلى الفردوس. أمّا العذارى الخمس الجاهلات اللواتي لم يكن عندهنَّ زيت، بل كانت عندهنَّ البتولية فقط، فلم يدخلن إلى العرس. قلن **للعذارى الحكيمات**: «أعطينا من زيتكنَّ». ودُعِين بحق جاهلات، لأنَّهنَّ فيما أنجزن الأصعب أهملن الأسهل؛ غَلَبَن العدو الكبير لكنَّهنَّ انهزم من أمام الصغير. وعندما جاء العريس، دخلت الحكيمات إلى العرس، وجاءت الأخريات وبدأن يقرعن الباب، فقال **لهنَّ الرب**: «إِنِّي لَا أَعْرِفُكُمْ». ولماذا؟ لأنَّهنَّ رأينه جائعًا ولم يطعمنه.

ليتنا لا نسمع نحن أيضًا تلك الإجابة. وأمّا الذين أتموا الرحمة، فيقول لهم: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رَثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.» (متى ٢٥: ٣٤). ولماذا؟ أكان ذلك لأنَّهم حفظوا البتولية؟ كلاً. بل: «لَأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَأَوَيْتُمُونِي.» (متى ٢٥: ٣٥).

ولكي تفهم بعمق كم عظيمة هي الرحمة، سأعلّق مرة أخرى وأذكركم بهذه القصة: كانت عشر عذارى، خمس منهنَّ حكيما والخمس الأخريات جاهلات. وعند منتصف الليل سمعت صرخة: «هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ!» والليل هو **ساعة القيامة**، حين يوقظنا الملائكة. فقامت العذارى وزيّن مصابيحهنَّ. **والمصباح هو: رمز البتولية، الطهارة، النقاء، والصفاء المضىء للبتولية**.

ولمّا وصلت الأخريات وقرعن الباب، قال لهنّ العريس: «الحَقُّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ». أَرَأَيْتِ؟ لَأَتَّهَنَ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُن رَحْمَةً، ضَاعَ أَيْضًا جَهْدُ بَتُولَتَيْهِنَّ وَبَقِينَ خَارِجَ الْعَرَسِ.

فلنّفهم إذا أيها الإخوة **روح الرحمة**، ولنمارسها لكي ندخل إلى العرس، وننال **الخيرات الأبدية**، بنعمة ربنا **يسوع المسيح**، الذي له المجد مع **الأب والروح القدس، القدوس الصالح المحيي**، الآن وكل أوانٍ وإلى دهر الداهرين. آمين.

قالت الجاهلات للحكيّمات: «أَعْطِينَا مِنْ رَيْتُكُنَّ». فأجابتهنّ الحكيّمات: «لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ». وليس عن حسد امتنعن عن إعطائهنّ، إذ في ذلك الموضع لا وجود بعد للحاجة إلى الأموال، ولا هناك أغنياء أو فقراء. بل قلن لهنّ: «ادْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَغْنَ لَكُنَّ». ومن هم الباعة؟ إنهم الفقراء. فالرحيم في الحقيقة يأخذ أكثر مما يعطي: يعطي الأرضيات ويأخذ السماويات. وعندما مضَيْنَ ليبتعن، جاء العريس، فدخلت معه المستعدّات إلى العرس وأغلقت الأبواب.



وَالْعُطْفِ وَالْأُزْدِيَّةَ وَالْأَكْيَاسَ، وَالْمَرَائِي وَالْقُمْصَانِ وَالْعَمَائِمَ وَالْأُزْرَ. فَيَكُونُ عَوَضَ الطَّيِّبِ عُفُوفَةً، وَعَوَضَ الْمُنْطَقَةِ حَبْلًا، وَعَوَضَ الْجَدَائِلِ قَرْعَةً، وَعَوَضَ الدِّيْبَاجِ زُنَارٌ مِسْحٌ» (إش ٣: ١٦-٢٤)

أَرَأَيْتِ هَذِهِ الْعُفُوفَةَ، وَهَذَا الْمُتَقَلِّبَ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ؟ أَرَأَيْتِ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ الْمُهِينَةَ الَّتِي يُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهَا؟ وَمِنْ هُنَا تَسْتَطِيعِينَ الْحُكْمَ عَلَى عَظَمِ الْخَطِيئَةِ. **فَهَذَا إِلَهُ الْكُلِّي الصَّلَاحِ**، مَا كَانَ لِيُعَيِّنَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْخَطِيئَةِ مِثْلَ هَذَا الْقِصَاصِ الْهَائِلِ، لَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْخَطِيئَةُ أَعْظَمَ مِنْهُ. وَمَا أَنَّ هَذِهِ الْخَطِيئَةَ كَبِيرَةٌ جَدًّا، فَيَلْزَمُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْفَضِيلَةُ الْمُضَادَّةُ لَهَا كَبِيرَةٌ جَدًّا. **إِنَّ الْقَدِيسَ بُولُسَ الرَّسُولَ** عِنْدَمَا يُخَاطَبُ نِسَاءَ الْعَالَمِ، لَا يَكْتَفِي بِأَنْ يَصْرِفَهُنَّ عَنِ التَّزَيُّنِ بِالذَّهَبِ، بَلْ لَمْ يَكُنْ يَسْمَحُ لَهُنَّ حَتَّى بِالْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ ذَاتِ الثَّمَنِ الْمُفْرِطِ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ فِيهَا مَرَضًا هَائِلًا لِلنَّفْسِ الْقَلِيلَةِ التَّهْذِيبِ. وَإِنَّا نَجِدُ الْفَضِيلَةَ الْمُضَادَّةَ لَهَا فِي النُّفُوسِ الْعَاشِقَةِ لِلْكَمَالِ وَالْأَدَبِ الْحَقِيقِيِّ.

وَبُرْهَانُ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ فَقَطْ فِي نِسَاءِ الْعَالَمِ، وَلَا فِي النِّسَاءِ الْمُتَزَوِّجَاتِ اللَّوَاتِي مَا مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَقْبَلُ بِارْتِيَاكِ النَّصَائِحِ بِهَذَا الشَّانِ، بَلْ فِي النِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَهْدِفْنَ فِي حَيَاتِهِنَّ إِلَى الْكَمَالِ، وَيَكُنَّ فِي مَصَافِّ الْبَثُولَاتِ (الرَّاهِبَاتِ). وَإِنَّكَ لَتَجِدِينَ كَثِيرَاتٍ مِنْهُنَّ قَدْ صَارَعْنَ ضِدَّ الطَّبِيعَةِ بِشَجَاعَةٍ غَيْرِ مَغْلُوبَةٍ، وَقَطَعْنَ - مِنْ غَيْرِ سُقُوطٍ - مِيدَانَ الْبَثُولِيَّةِ، يَعِشْنَ عَلَى الْأَرْضِ عَيْشَةَ الْمَلَائِكَةِ، وَيُحَقِّقْنَ بِالْجَسَدِ الْمَائِتِ، وَقَبْلَ الْقِيَامَةِ، مَا سَيَكُونُ بَعْدَ الْقِيَامَةِ... وَمَعَ ذَلِكَ، وَبَعْدَ أَنْ يَكُنَّ قَدْ

تنمة في صفحة ١٤

إِنَّ الْأَسَدَ يُعْرِفُ مِنْ مَخَالِبِهِ، وَأَنْتِ يَا **أُولَمْبِيَا** تُعْرِفِينَ مِنْ مَلَابِسِكِ. وَدَعِينِي أَتَحَدَّثُ بِبَعْضِ كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ عَنْ بَسَاطَةِ مَلْبَسِكِ وَعَنْ عَدَمِ اهْتِمَامِكِ مُطْلَقًا بِمَا تَلْبَسِينَ. وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ قَدْ تَظْهَرُ لِأَوَّلِ الْأَمْرِ أَقَلَّ شَأْنًا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَكِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنٍ فَاحِصَةٍ وَنَاقِدَةٍ، يَرَى فِيهَا فَضِيلَةً مِنْ أَسْمَى الْفَضَائِلِ، وَيَرَى أَنَّهَا تَتَطَلَّبُ نَفْسًا كَامِلَةً تَكُونُ قَدْ ازْدَرَتْ كُلَّ أَبَاطِيلِ الْعَالَمِ وَتَبَدَّدَتْهَا، وَاتَّخَذَتْ وَجْهَةً طَبْرَانَهَا **نَحْوَ السَّمَاءِ**.

لَيْسَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فَحَسَبُ، بَلْ مُنْذُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، **وَاللَّهُ** يُذِرُ بِالْإِدْنِ الْهَائِلَةِ لِمَنْ يَهْتَمُّ كَثِيرًا بِمَلَابِسِهِ. فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ **اللَّهُ** فِيهِ يَقُودُ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ فِي الظِّلِّ وَالرَّمْزِ، وَحِينَ كَانَتْ الْمَبَادِيءُ أَرْضِيَّةً وَحَسَدِيَّةً، وَحِينَ لَمْ تَكُنِ الْقَضِيَّةُ قَضِيَّةَ أَشْيَاءِ سَمَآوِيَّةٍ وَلَا حَيَاةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ مِنْ صِلَةٍ أَوْ عَهْدٍ **بِحَيَاةِ الْإِنْجِيلِ الْكَامِلَةِ**، وَحِينَ كَانَ النَّاسُ يَعِيشُونَ فِي شَرِيعَةِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ فِي النَّامُوسِ الْمُوسَوِيِّ، أَجَلٌ، مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ **أَنْذَرَ اللَّهُ** بِالْإِدْنِ بَعْمَ نَبِيِّهِ **إِسْعَى** أُولَئِكَ الَّذِينَ يَفْرِطُونَ فِي الْإِهْتِمَامِ بِمَلَابِسِهِمْ.

وقال الربُّ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَنَاتِ صِهْيُونَ يَتَشَاخَنَ، وَيَمَشِينَ مَمْدُودَاتِ الْأَعْنَاقِ، وَغَامِرَاتِ بَعْيُوهِنَّ، وَخَاطِرَاتِ فِي مَشْيِهِنَّ، وَيُحَسِّخْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ، يُصْلِغُ السَّيِّدُ هَامَةَ بَنَاتِ صِهْيُونَ، وَيُعَرِّي الرَّبُّ عَوْرَتَهُنَّ. يَنْزِعُ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ زِينَةَ الْخَلَائِلِ وَالضَّفَائِرِ وَالْأَهْلَةِ، وَالْخَلْقِ وَالْأَسَاوِرَ وَالْبُرَاقِعَ، وَالْعَصَائِبَ وَالسَّلَاسِلَ وَالْمَنَاطِقَ وَخَنَاجِرَ الشَّمَامَاتِ وَالْأَحْرَازِ، وَالْخَوَاتِمَ وَخَزَائِمِ الْأَنْفِ، وَالثِّيَابِ الْمُزَخْرَفَةِ

الفصل السادس

«لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي.»
(يوحنا ١٤: ١).

«هَلْ عَرَفْتَ سُنَنَ السَّمَاوَاتِ، أَوْ جَعَلْتَ تَسَلُّطَهَا عَلَى الْأَرْضِ؟ أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى السُّحْبِ فَيُعْطِيكَ فَيْضَ الْمِيَاهِ؟» (أيوب ٣٨: ٣٣-٣٤).

وَمَرَّ الْحَرْيفُ وَتَبِعَهُ الشَّيْءُ، وَلَمْ يَزِدَّ ثِيُوكْلَيْطُسَ عَلَى الرِّسَالَةِ. وَقَدْ زَادَ الْحَدِيثُ عَنْ نَزْعَاتِهِ الْمُعَادِيَةِ وَرَغْبَتِهِ بِحَدَمِ الدَّيْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَبْدُو أَكِيدًا.

وَلَمْ يَسْتَطِعْ سَاكُوبُولُوسُ أَنْ يَتَبَيَّنَ حَقِيقَةَ الْأُمُورِ بِوُضُوحٍ، رَغْمَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي كَانَ يَطْرُحُهَا فِي مُحِيطِ الْمَثْرُوبُولِيَّةِ. وَكَانَ حَزِينًا لِهَذَا الْأَمْرِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَرْجُو فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ **إِرَادَةُ الرَّبِّ**، حَتَّى يَنْجُو الشَّيْخُ مِنْ كُلِّ هَذَا الْفَقْرِ، وَيَعُودَ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْمَكَانَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِشَخْصِيَّتِهِ الْإِكْلِيْرِيْكِيَّةِ الْفَدَّةِ. وَمَا كَانَ يَنْفُكُ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنْ انْتِظَارِ إِشَارَةٍ مِنْ فُوتِيُوسِ الْمُقِيمِ هُنَاكَ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ: دَعْوَةٍ مِنْهُ، أَوْ حَتَّى اعْتِزَالِهِ لِأَسْبَابٍ صَحِيَّةٍ.

فِي هَذَا الْوَقْتِ بَدَأَ التَّخْضِيرُ لَطَبْعِ الدِّرَاسَةِ التَّارِيخِيَّةِ **حَوْلَ الصَّلِيبِ الْمُقَدَّسِ** عِنْدَ السَّيِّدِ بَارَاسْكِيْفَا (شَارِعَ بِيْرْكَلِسِ ١٦ فِي أَثِينَا)، وَقَدْ وُضِعَتْ فِي الْأَسْوَاقِ فِي الْعَامِ التَّالِيِ. وَكُتِبَ الْإِهْدَاءُ التَّالِي عَلَى وَرَقَةٍ الْغِلَافِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْكِتَابِ بِأَحْرَفٍ كَبِيرَةٍ:

«إِلَى قَدَاسَةِ مَثْرُوبُولِيَّةِ أَثِينَا ثِيُوكْلَيْطُسَ الْجَلِيلِ الْإِحْتِرَامَ، وَرَبِّسَ الْمَجْمَعِ الْمُقَدَّسِ، عَزْبُونَ إِجْلَالٍ كَبِيرٍ وَمَحَبَّةٍ أُخُوِيَّةٍ، مِنْ نِكْتَارِيُوسِ أَسْقَفِ الْمَدِينِ الْخَمْسِ».

وَاسْتَمَرَ الْعَمَلُ فِي الدَّيْرِ. وَكَانَ الْإِيمَانُ وَالصَّلَاةُ وَالنُّسْكُ يُعْطِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ مَا يَكْفِي لِكُلِّ يَوْمٍ. وَكَانَ **نِكْتَارِيُوسُ** يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِيْبًا، إِمَّا فِي الْحُقُولِ، وَإِمَّا فِي مَهَامِ التَّصْلِيحِ، وَإِمَّا فِي أَعْمَالِ الْبِنَاءِ الْإِضَافِيَّةِ. وَكَانَ بِاتِّكَالِهِ عَلَى **الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ** يُقَدِّمُ الْمِثَالِ الْأَوَّلَ فِي الصَّبْرِ، وَالْبِرَاعَةِ فِي تَفَادِي الْمُسْكَلَاتِ. وَمَا تَبَقَّى لَهُ مِنَ السَّاعَاتِ الْقَلِيلَةِ «الْحُرَّةِ» كَانَ يُخَصِّصُهَا بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى لِلشَّعْبِ.

إِنَّ نَفُوسَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْبِدِينَ لِعَمَلِهِمْ الْيَوْمِي، نَفُوسَ هَذَا الْقَطِيعِ الصَّغِيرِ الْمَثْرُوكِ، كَانَتْ تَعَزِيَّةً دَائِمَةً لِنِكْتَارِيُوسِ، كَسِلْسِلَةٍ مِنَ الزُّمُرُودِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَشَهَادَةً لِلرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَكَانَ صَيَّادٌ مِنْ جَزِيرَةِ بُوْرُوسِ يَأْتِي كَثِيرًا لِرِيَاةِ **نِكْتَارِيُوسِ**. كَانَ مُحَارِبًا لِلْبَحْرِ وَالصُّخُورِ، وَأَبَا لِعَائِلَةٍ، أَحْسَى ظَهْرُهُ التَّعَبَ، وَبَدَتْ عَلَى وَجْهِهِ عَلَامَاتُ السَّهْرِ وَضَرْبَاتُ الْمَوْجِ الْمَالِحِ فِي الصَّيْفِ كَمَا فِي الشَّيْءِ. وَكَانَ يُدْعَى الْعَمَّ ثِيُودُورُوسُ. وَقَدْ التَّقَاهُ بِالصُّدْقَةِ خِلَالَ صَلَاةِ غُرُوبِ أَحَدِ الْأَعْيَادِ، وَتَبَادَلَا الْحَدِيثَ مَعَهُ بِفَرَحٍ، كَعَادَتِهِ مَعَ الْكَثِيرِ مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَجْهَلُ أَسْمَاءَهُمْ. وَفِي الْبِدَايَةِ طَلَبَ مِنْهُ الصَّيَّادُ بَسَاطَةً أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى اعْتِرَافِهِ. وَكَانَ **نِكْتَارِيُوسُ** يَتَمَتَّعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِبَعْضِ اللَّحْظَاتِ مِنَ الْهُدُوءِ عَلَى رَغْمِ تَعَبِهِ، فَوَافَقَ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ قَرَّرَ عَدَمَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى الْإِعْتِرَافَاتِ، وَحَتَّى مِنْ قِبَلِ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَكُلَّمَا وَصَلَ مَرْكَبُ الْعَمِّ ثِيُودُورُوسِ إِلَى مِيَاهِ إِيَجِينَا بَحْنًا عَنِ الْقَرِيدِيْسِ، كَانَ الصَّيَّادُ يَصْعَدُ الطَّرِيقَ مَاشِيًا لِمُدَّةِ سَاعَتَيْنِ، يَمْلُؤُهُ الْإِحْتِرَامُ وَعِزْفَانُ الْجَمِيلِ، لِيُقَدِّمَ لِنِكْتَارِيُوسِ إِمَّا سَمَكَةً أَوْ مُصَنَّقًا، أَوْ أُخْطَبُوطًا، أَوْ آيَةً سَمَكَةٍ أُخْرَى. وَكَانَ **نِكْتَارِيُوسُ** يَتَأَثَّرُ كَثِيرًا بِهَذِهِ الْهَدَايَا الْمَفْعَمَةِ بِالْحُبِّ وَصَفَاءِ النِّيَّةِ، وَالْمُمْتَلِئَةِ بِالْبَسَاطَةِ وَالْعَطْرِ السَّمَائِيِّ. وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُعْكَزُّ بِهَا أَمَامَ الْمَذْبَحِ وَيُصَلِّي مِنْ أَجْلِ ثِيُودُورُوسِ وَامْرَأَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الَّذِينَ يَجْهَلُهُمْ.

وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ الْمَرِيَّةِ مِنْ بَدَايَةِ الْعَامِ ١٩١٤، وَكَانَتْ قَضِيَّةُ ثِيُوكْلَيْطُسَ مَا زَالَتْ عَالِقَةً، وَصَلَ الْعَمَّ ثِيُودُورُوسُ إِلَى مَكْتَبِ **نِكْتَارِيُوسِ** حَائِي الطَّهْرِ، بِشِبَابِهِ الرِّثَّةِ وَحِدَائِهِ الْمَثْرُوبِ، وَهُوَ يَبْكِي بِصَمْتٍ وَيَدَاهُ فَارِعَتَانِ. وَمَا أَنْ التَّقَتْ عَيْنَاهُ بِنَظَرَاتِ **نِكْتَارِيُوسِ** حَتَّى أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ. فَسَأَلَهُ:

— «مَاذَا يَجْدُثُ يَا ثِيُودُورُوسَ، وَلِمَاذَا تَبْكِي؟ هَلْ فَقَدْتَ أَحَدَ أَفْرَادِ عَائِلَتِكَ؟»

— «لَا يَا أَبَتِي، إِنَّ الْأَمْرَ أَسْوَأُ بِكَثِيرٍ.»

— «أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ؟ مَاذَا إِذَنْ؟»

— «هُنَالِكَ كِلَابٌ تَهْجُمُ عَلَى شِبَاكِ صَيْدِنَا وَتُثْلِفُهَا. وَأَنَا أَكْثَرُ مَنْ وَضَعَ الطَّعْمَ، وَلَكِنِّي لَا أَصْطَادُ شَيْئًا. وَأُوشِكُ عَلَى فُقْدَانِ أَدَوَاتِ عَمَلِي، فَأُضْطَرُّ لِبَيْعِ مَرْكَبِي، وَأَقْفِدُ مَعَهُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ. هَا أَنَا وَأَوْلَادِي بَيِّتُونَ دُونَ طَعَامٍ مُنْذُ **أَرْبَعَةِ أَسَابِعٍ**. وَأَخْجَلُ مِنْ أَنْ أُمِدَّ يَدِي لَطَلَبِ الْإِحْسَانِ.»

— «مَا هِيَ هَذِهِ الْكِلَابُ؟ أَنَا لَا أَفْهَمُ مَا تَقُولُ!»

— «مَاذَا يُقَالُ لَهَا؟... أَسْمَاكَ الْقُرْشُ؟ إِنَّهَا قُطْعَانٌ مِنْ أَسْمَاكِ الْقُرْشِ! وَهِيَ تَحْمِلُ مَعَهَا الْمَرَارَةَ وَالْحُرَابَ أَثَيْنَا تَحُلُّ.»

— «عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ؟»

— «أَيْنَمَا كَانَ يَا أَبَتِ الْعَزِيزُ، أَيْنَمَا كَانَ. مِنْ أَرْمِينُونِي حَتَّى أَغِيَسْتِرِي.»

— «وَلَا تَرْحَلْ؟»

— «لَا يَا أَبَتِ الْعَزِيزُ، إِذْ عِنْدَمَا تَحُلُّ مِثْلُ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ، فَإِنَّهَا تَبْقَى حَوْلِي **خَمْسَ سَنَوَاتٍ**، فَتَقْضِي عَلَى كُلِّ الْأَسْمَاكِ. صَدِيقِي، إِنَّهَا كَارِثَةٌ.»

فَعَادَ إِلَى الْبُكَاءِ، فَقَالَ نِكْتَارِيُوسُ:

«لَا تَبْكُ. اجْلِسْ وَكُلْ شَيْئًا. سَنُعْطِيكَ مَا يَتَسَيَّرُ لَدَيْنَا، رَغْمَ أَنَّ وَضَعَنَا الْمَالِيَّ سَيِّئٌ جَدًّا. وَلَكِنْ أَيْنَ هِيَ أَدَوَاتُكَ؟»

— «تَحْتَ»، فِي إِيجِينَا.

— «هَلْ تُمَانِعُ فِي إِحْضَارِهَا إِلَى هُنَا؟»

— «أُمَانِعُ، يَا أَبَتِ الْعَزِيزِ؟ بِالطَّبَعِ لَا. فَإِنَّ الْمَسِيحَ، الْمُعَلِّمَ الْكَبِيرَ، يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ أَنْتَ، عَلَى الْأَقْلَ.»

فَقَالَ نِكْتَارِيُوسُ:

— «وَأَنْتَ أَيْضًا، أَكْثَرُ مِنِّي.»

وَفِي الْحَالِ خَرَجَ الْعَمُّ ثِيُودُورُوسُ مُسْرِعًا، وَعَادَ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ حَامِلًا عَلَى رَأْسِهِ سَلْتَيْنِ مَلِيَّتَيْنِ بِالْحَبَالِ السُّودَاءِ وَالصَّنَّارَاتِ: لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ شِبَاكَةً.

فَابْتَسَمَ نِكْتَارِيُوسُ وَتَنَاوَلَهَا مِنْهُ دُونَ كَلِمَةٍ، وَإِذْ رَفَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ تَنَشَّقُ رَائِحَةَ الْبَحْرِ. ثُمَّ أَخَذَهَا إِلَى الْكَنِيسَةِ وَوَضَعَهَا أَمَامَ الْمَذْبَحِ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي صَيَادِي مُجِيرَةِ طَبَرِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ، الْمُتَوَاضِعِينَ وَالْأَتْقِيَاءَ، الَّذِينَ جَعَلَ مِنْهُمْ الرَّبُّ أَنْوَارًا لِلْبَشَرِيَّةِ.

تابع من صفحة ١٣ - فضيلة بساطة الملابس - للقديس يوحنا الذهبي الفم

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْخَطِيئَةُ، خَطِيئَةُ التَّبَرُّجِ، قَدْ اسْتَلْزَمَتِ الْعِقَابَ عَلَى النِّسَاءِ الْعَالَمِيَّاتِ فِي زَمَنِ الْعِبْرَانِيِّينَ وَتَحْتَ النَّامُوسِ الْقَدِيمِ، فَمَاذَا نَقُولُ عَنِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَتَّبِعْنَ نَامُوسَ النِّعَمَةِ، وَهُنَّ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ السَّمَاءِ، وَالْمَفْرُوضُ فِيهِنَّ تَقْلِيدُ عَيْشَةِ الْمَلَائِكَةِ؟ وَأَيُّ مُبَرِّرٍ لِيَتْلِكَ الْخَطِيئَةُ فِي مِقْدَارِ حَجْمِهَا وَانْتِشَارِهَا؟ وَكَيْفَ نَحْتَسِبُ صَاحِبَتَهَا بَتُولًا وَعَذْرَاءً؟ هِيَ بِنْتُ عَذْرَاءٍ، وَأَنْتِ امْرَأَةٌ مُتَزَوِّجَةٌ وَمُتَرَمِّلَةٌ! فَيَتْلِكَ الْعَذْرَاءُ الَّتِي تَرْتَدِي الْمَلَابِسَ الطَّوِيلَةَ ذَاتِ الطَّيَّاتِ وَالتَّجَاعِيدِ الْكَثِيرَةِ، تَجُرُّ أَدْيَالَ نَوْبِهَا عَلَى نَحْوِ الْحَالِ الَّتِي يُنْكِرُهَا النَّبِيُّ عَلَى نِسَاءِ صِهْيُونَ، وَفِي مَشْيِهَا وَخُطْوَتِهَا مَا يَسْتَسِيرُ الشَّهْوَةَ، وَفِي صَوْتِهَا وَعَيْنَيْهَا وَكُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكَاتِهَا مَا يَسْكُبُ السُّمَّ فِي أَنْظَارِ الْفَاسِقِينَ! هَذِهِ الْعَذْرَاءُ الَّتِي تَحْفَرُ الْخُفَرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَتَنْصَبُ الْحَبَائِلَ فِي سَبِيلِ الْمَاءِ، هَلْ لَنَا أَنْ نُسَمِّيَهَا عَذْرَاءً، أَمْ أَنْ نَحْتَسِبَهَا فِي مِصْفِ الْبَغَايَا؟ وَمَاذَا أَقُولُ؟ إِنَّ الْبَغَايَا هُنَّ أَقْلُ خَطَرٍ، إِذْ لَيْسَ عَلَى صِنَارَةِ صَيْدِهِنَّ طَعْمٌ كَثِيرٌ مِثْلَ أَوْلَيْكَ، وَلَا يَنْشُرْنَ مِثْلَهُنَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ الْفِتْنَةَ وَالْإِغْرَاءَ.

وَلَأَجْلِ هَذَا أَنَا أَهْنُوكُ، وَأَكْبَرُ فِيكَ هَذَا النَّصْرَ الْمُبِينِ الَّذِي أَحْرَزْتَهُ، وَأَضَفْتَهُ إِلَى سِلْسِلَةِ انْتِصَارَاتِكَ كُلِّهَا. وَإِنَّكَ لَفِي بَأْسِ الرَّجَالِ، حِينَ يَسْتَسْلِمُ غَيْرُكَ لَطِيعَةِ الضَّعْفِ الْأَنْثَوِيِّ، وَحِينَ يَسْعَيْنَ وَرَاءَ الرِّينَةِ وَالتَّبَرُّجِ، تَسْلُجِينَ أَنْتِ بِالْفَضَائِلِ.

إِنَّ الْأَسَدَ يُعْرِفُ مِنْ مَخَالِيهِ، وَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أَبْرَهَنَ أَنَّكَ تُعْرِفِينَ مِنْ مَلَابِسِكَ. وَلَكِنْ فِي هَذِهِ فَضِيلَةٌ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَمَّ وَصْفَهَا.

المرجع: الرسالة الثامنة للشمامسة أولمبيا، من القديس يوحنا ذهبي الفم. الرسائل إلى أولمبيا، تعريب الأسقف أسطفانوس حداد، منشورات النور.

إِنَّ مَا أَكْبَرُهُ فِيكَ، لَيْسَ فَقَطْ زُهْدُكَ الَّذِي لَا يُصَدِّقُ فِي الْمَلَابِسِ الَّتِي لَا تَعْدُو ثِيَابَ الْفُقَرَاءِ فِي مَظْهَرِهَا الْفَقِيرِ وَفِي رِثَائَتِهَا، بَلْ أَيْضًا - وَعَلَى الْأَخْصِ - عَدَمُ تَفْتِيشِكَ مُطْلَقًا عَنِ الْمَلَابِسِ وَعَدَمُ اهْتِمَامِكَ بِهَا، كَأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يَخْطُرُ فِي بَالِكَ مَاذَا تَنْتَعِلِينَ وَكَيْفَ تَمَشِينَ. وَهَذِهِ هِيَ الْعَلَامَةُ عَلَى كَمَالِ فَضِيلَتِكَ، قَالَ الْحَكِيمُ: «الْإِنْسَانُ يُعْرِفُ مِنْ ثِيَابِهِ وَصُحْبِهِ وَمَشْيِهِ». لِأَنَّكَ لَوْ لَمْ تَطْرَحِي - إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ - كُلَّ مَا تَوَاضَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ جَهْلًا، مِنْ عَادَاتٍ وَتَقَالِيدٍ، وَلَوْ لَمْ تَتَرَفَّعِي إِلَى مِثْلِ هَذَا الْإِحْتِقَارِ لِأَشْيَاءِ الْعَالَمِ، لَمَا كُنْتَ غَلَبْتَ هَذِهِ الرَّذِيلَةَ الَّتِي لَا تُسْتَأْصَلُ. وَلَسْتُ أَقْبَلُ أَنْ يَتَّهَمَنِي أَحَدٌ بِالْمُبَالَغَةِ حِينَ أَتَكَلَّمُ عَنْ فُطَاعَةِ هَذِهِ الْخَطِيئَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمَسِيحِيِّ.

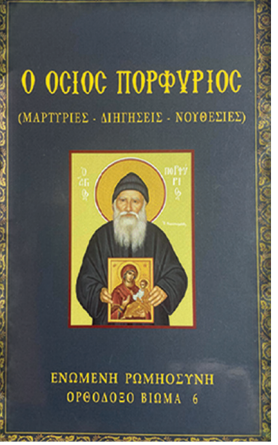
(35)

القديس پورفيرىوس الرائي

كافسوكاليفيا
جبل آتوس - اليونان

شهادات، روايات، وتعاليم

جمعية نور المسيح



«منذ ذلك الحين لم يبرح من ذهني. ذكرت الأمر حينها لأبي الروحي، فأعطاني الإرشادات، ومع أول فرصة، وأنا في الخامسة عشرة من عمري، ذهبت إلى أوروپوس. دخلت إلى الكرفان، وكان متعرقًا (كان العرق يتصبّب منه)، وطلب منّي أن أُعطيه قميصًا صوفيًا كان مُعلّقًا ليبدّل ملابسه. ثم أخذ يتحمّس نبضي لوقت طويل، فخفت أن أكون مريضًا. فقال لي: «لماذا تخاف؟ أنت جبان ولست شجاعًا وراسخًا؟ ارتفع نفسيًا.. يمكنك ذلك». وقد شدّد بشكلٍ خاص على كلمة «يمكنك».

سألته: «كيف سأفليح في ذلك يا أبانا؟».

فقال: «أن تذهب لتعمل في ورش البناء، في الإسمنت». (وقد قال هذا لاحقًا أيضًا القديس بايسسيوس، بالكلمات نفسها).

ثم أضاف: «آه، انتبه، لأنّ الشيطان يسعى إلى أن يُقصّيك ويُوهمك بأنك عاجز، وأنت لا تستطيع أن تعمل شيئًا. لا تدعه. سأصلي أنا، وسنلتقي من جديد». وعلى الرفّ الخلفي في الكرفان كانت هناك خمسة دُرّاقات (خوخ)، فقال لي: «خذ الثلاثة لتأكلها، واترك الاثنين لآكلهما أنا».

باركني ورسم عليّ إشارة الصليب، فغادرتُ طائرًا من الفرح والسرور. وكان القديس شديد المعارضة للأطباء النفسيين وللأدوية النفسية، التي كان يسمّيها «مخدّرات»، ويوصي بوقفها، وبأن يسعى الإنسان جاهدًا ليُحبّ المسيح كثيرًا، المسيح، الطبيب الوحيد للنفوس والأجساد. كما كان يوصي بقراءة الإنجيل والمزامير والتراثيل من الكتب الطقسية، وبالعمل، ولا سيّما العمل الجسدي.

لم يكن يريد أن يبقى أحد كسولًا أبدًا.

«هل تُحبّ المسيح؟» سألي في البداية حين التقيته.

ومرّة سألته: «ماذا أفعل لكي أخلص؟» فقال لي: «آه، اقرأ آباء

الكنيسة». يتبع في العدد القادم

قال لي الشيخ القصّة التالية: عندما كان لا يزال في الكرفان (البيت المتحرّك)، جلس يومًا يتحدث مع راهب ساعاتٍ طويلة. وبعد أن أنحيا حديثهما، قالت له امرأة:

– ألا تخجل، وأنت شيخ كبير، أن تتكلّم كلامًا غير لائق مع تلك المرأة داخل الكرفان؟

– يا ابنتي، لقد كان راهبًا.

– حسنًا، ألم أسمع ما كنتم تقولانه؟

– كنّا نتحدّث عن الصلاة.

فانصرفت المرأة غير مُقتنعة، وفي اليوم التالي كان الشيخ پورفيرىوس يبحث عنها ليُعِينها، خوفًا من أن تكون قد تلبّستها الأرواح الشريرة. وهذه عبرة لنبتعد عن الشبهات والأفكار الرديئة.

١٤ - مساعدة لشاب

شهادة مجهول: «كنتُ لفترة من الزمن طالبًا في المدرسة الإكليريكية في مدينة لاميا. وكان هناك راهب كاهن (المرحوم الآن)، اسمه أيضًا پورفيرىوس، وكان على منضدته صورة للقديس پورفيرىوس كافسوكاليفي. ما إن وقع بصري عليها، حتّى غمرتني مشاعر فرح وبهجة، وزال عني همّ كان يثقلني، فسألته: «من هذا؟»

فقال لي: هذا قديس معاصر، وهو يُنسب ديرًا في أوروپوس. وأيضًا أخبرني أنّه كلّ يوم عند الساعة الحادية عشرة صباحًا، يخرج في جولة في الغابة، وهناك الثّقُطت له تلك الصورة.

وقال لي: «أنا، عندما ذهبتُ لأوّل مرّة كشمّاس، من دون أن أعلم أحدًا ولا أن أذكر من أكون، وبينما كان هناك كثيرون ينتظرون، قال (القديس): قولوا للشمّاس أن يتقدّم. (يأتي إليّ)».

ملحوظة: الراهب الكاهن المذكور هنا (المرحوم الآن) كان يحمل نفس اسم القديس پورفيرىوس، لكنّه ليس القديس نفسه. هذا الراهب كان يحتفظ بصورة القديس پورفيرىوس على منضدته، ومن خلالها تعرّف الطالب على القديس.



Ἱερά Μονή Παμμεγίστων Ταξιαρχών Αἰγιαλείας الدير المقدّس لرؤساء الملائكة العظام في إيجيالياس

إنّهم يصلّون، ويتحدّثون مع الآباء، ويتقدّسون بأسرار الكنيسة، ويتّحدون من جديد **بالله**، فيجدون الراحة والسلام النفسي. وغالبًا ما يرغبون بعد ذلك أن يتعرّفوا إلى شيء من تاريخ الدير لكي يغنوا معرفتهم ويزدادوا ارتباطًا بهذا المكان المقدّس.

واستجابةً لهذه الحاجة، ورغبةً في إشباع حبّ المعرفة لديهم، نقدم هذه الطبعة. إنّ التاريخ التأسيسي الموجز **لدير رئيسي الملائكة في إيجيالياس** يمنح القارئ وصفًا شاملاً لتاريخ هذا الدير البطريركي، من دون أن يتوسّع في تفاصيل مرهقة، بل يتركّز في الوقت نفسه بصور فنيّة للأيقونات المقدسة، ولذخائر الكنيسة، وللباني الدير. إنّ هذه الطبعة فنيّة الطابع، وتشكل تعبيرًا عن محبتنا، كما وتُعَدُّ في الوقت نفسه برهانًا إضافيًا على إحساسنا بالواجب والمسؤولية تجاه زوار الدير.

✠ **أمبروسيوس، متروبوليت كالافريتا وإيجيالياس**

مقدمة عن دير رئيسي الملائكة في إيجيالياس في البيلوبونيس
وإذ نقرب الآن من نهاية القرن العشرين، يتحقّق يوميًا عَجَب. فإنّ إنسان هذا العصر، عصر الرحلات الكونيّة والإنجازات الإلكترونيّة، يشعر اليوم بحاجة إلى أن يرجع إلى **الله**، وأن يعيد اتّصاله بالكنيسة، وأن يعتمد من جديد في ينابيع إيماننا الأرثوذكسي.

ومع انسياب الزمن، نلاحظ بفرح لا يُوصَف أنّ تيار العودة إلى **الله** يزداد ثباتًا ورسوخًا. ويتجلّى هذا الأمر بوضوح من خلال الحشود الغفيرة من مؤمنينا الذين يتوافدون إلى أديرتنا المقدّسة المنتشرة في أرجاء الأبرشيّة. فزوّار الأديرة لم يعودوا اليوم مجرّد «سُيَّاح» كما في السنوات الماضية، بل يأتون في معظمهم حُجَّاجًا يلتمسون أن يعتمدوا من جديد وأن يتجدّدوا روحيًا في الجوّ المهيّب المملوء بخشوع عميق، السائد هناك.

إنّ هذه الجموع من الحجاج الأتقياء، الذين يهرعون مثل الأيائل العطشى «نحو ينابيع المياه»، تعطينا اليقين بأنّ إيماننا **بالله** سوف يظفر ويُتَوَجَّ بالانتصار في القرن المقبل.

وفي **إيجيالياس**، حيث يزدهر تاريخ **دير رؤساء الملائكة الملكي والستافروبيغي**، يتوافد كلّ عام حشد لا يُحصى من المؤمنين. ولم يُعَدَّ «ماء الورد الجوري» (الذي يُصنع بالدير) هو ما يحرك مشاعر الزائرين، بل على العكس، إنّ **الصلوات الإلهيّة، والذخائر لآلام السيّد المسيح الطاهرة، وجثمان القديس ليونتيوس، ونعمة رئيسي الملائكة الجليلين، والأجواء الخاشعة في الدير هي التي تُشكّل القوة الروحيّة الجاذبة، والتي تجعل من الدير قُطبًا يجتذب كلّ الذين يصعدون إليه.**

ملحوظة: المقصود بعبارة «نعمة رئيسي الملائكة» ليس أنّ للملائكة نعمة ذاتيّة من أنفسهم، بل إنّها النعمة الإلهية الممنوحة من الله بشفاعته رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل. فالملائكة هم خُدّام الله وأدوات نعمته، ينقلون قوّة الله ومعاونته للإنسان، لكن مصدر النعمة هو الله وحده. (انتهت الملحوظة)

أعرق أديرة إيجيالياس (إيجيالياس):

الدير الملكي والستافروبيغي لرئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل:

على الضفة اليمنى لنهر سيلينونتا، تحت جبل كلوكوس المغطّى بأشجار الشوح، وسط نباتات وافرة ومياه غزيرة، تقع أعرق أديرة إيجياليا وأحد أهم أديرة البيلوبونيس، سواء من حيث تاريخها أو من حيث ذخائرها الفريدة. إنّها **الدير الملكي والستافروبيغي (المرفوع للصليب) التاريخي المقدّس لرئيسي الملائكة.**

أمامها تنتصب شاحخة أديرة **بيسيليبيتيسا**، أي دير نسكي قديم بالقدر نفسه، المعروف أيضًا باسم «**دير رجاء اليائسين**»، الذي أسسته والدة القديس ليونتيوس - **مؤسس دير رئيسي الملائكة -** ثيودورا بالولوجينا، التي ترهّبت في هذا الدير.

إلى الشرق من **دير رئيسي الملائكة** يقع، على صخرة عمودية، أول

دير- برج، الذي كان مؤسسه **القديس ليونتيوس**، بعمارة بيزنطية مميزة، وُزِنَ بجداريات قيمة في كنائسه وأماكن نسكه.

وُلد **القديس ليونتيوس** حوالي **سنة ١٣٧٧** في **مونيقياسيا**، ورقد حوالي **سنة ١٤٥٢** في الدير، حيث يُحفظ حتى اليوم **جسده المقدس**. كان ابن **أندرياس مانويل**، **دوق مونيقياسيا**، و**ثيودورا باليولوجينا**، ابنة **الإمبراطور أندرونيكوس الرابع باليولوجوس**. حامي الحياة الرهبانية منذ طفولته، صار **القديس ليونتيوس** راهبًا بعد وفاة أمّه **ثيودورا**.

في بدايات **القرن الخامس عشر (١٤١٥-١٤٢٠)** أسس **القديس ليونتيوس دير الملاك ميخائيل** على أنقاض نسيكاتٍ سابقة (قبل سنة ١٤١٦).

أمّا **الإخوة توما** و**ديميتريوس باليولوجوس**، أشقاء **الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر باليولوجوس**، وأحوال **القديس (من جهة ابن عمّتهم الأولى)**، فإذا كانوا يُعجبون بإفراط **بفضيلة القديس ليونتيوس**، شيدوا تكريمًا له ولأبناء وطنه حوالي **سنة ١٤٥٠** **ديرًا فخماً**، ووهبوا الدير مع العديد من المؤسسات الخيرية الأخرى، وأهدوا إليه **ذخائر آلام المخلص الكبرى**، أي **قطعة من الصليب الكريم**، **إكليل الشوك**، **الرداء الأرجواني**، **القصبه**، **الإسفنجة**، **المسامير**، وهي التي تُشكّل كنوز الدير، والمحافظة بلا مساس حتى يومنا هذا.

أمّا هذا الدير **الأوّل للملاك ميخائيل** فقد دمّره **الأتراك في ١٥ آب سنة ١٥٠٠**. لكن الرهبان تحرّكوا بنشاط، وتمكّنوا من إعادة بناء الدير من الأساس في الموقع ذاته، على نفقة أحد الأعيان البارزين - وإن كان قليل الشهرة - **يوحنا تسيرنداس**. غير أنّ حظّ هذا الدير الجديد لم يكن أفضل، إذ سرعان ما دمّره **الأتراك أيضًا مرة أخرى حوالي سنة ١٦٢٠**.

بعد هذه الكارثة الثانية لدير **رئيس الملائكة ميخائيل**، قرّر الرهبان أن يغيّروا موقعهم. فاتجهوا نحو **نهر سيلينوندا**، في موضع منبسط، وحوالي **سنة ١٦٢٠** - أي مباشرة بعد دمار الدير الأول - شيدوا الدير في الموضع الذي يقوم فيه اليوم. ومنذ ذلك الحين تغيّر أيضًا اسم الدير: **فصار يُكرّم باسم رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل**، وليس باسم ميخائيل وحده. وهكذا استقرّت التسمية الشهيرة: **دير رؤساء الملائكة**.

لكن، مع الأسف، فإنّ تاريخ الدير بقي مرتبطًا بالخراب وإعادة البناء، حتى في هذا الموقع الذي لجأ إليه الرهبان هربًا بحثًا عن الأمان. وهكذا، فإن الدير الجديد لرؤساء الملائكة دُمّر بالكامل بيد **الأتراك - الألبان سنة ١٧٧٢**، بسبب **ثورة أورلوف**. عندئذٍ نُقِذت (أنقِذت) مرةً أخرى **الآلام المقدسة (الذخائر)** ولم ينبُج سوى أربعة رهبان فقط، من بينهم رئيس الدير.

أمّا الناجون، فقد تمكّنوا بعد ذلك من إعادة بناء الدير في فترة قصيرة لم تتجاوز **ثلاث سنوات** بعد الخراب الشامل. وهذه هي الهيئة التي ما زال الدير قائمًا بها حتى اليوم. وفي **سنة ١٧٧٥** عاد **الراهب ثيوفانس ماوريكيوتيس** إلى الدير، ومنذ ذلك الحين تبدأ مرحلة جديدة في التاريخ.

التوضيحات للفقرة السابقة:

(١) **نهر سيلينوندا**: نهر يقع قرب إيجيالييس (Aigialeia) في البيلوبونيز. كان اختياره مهمًا لأنه مكان منبسط ومناسب لبناء دير جديد بعد تدمير القديس.

(٢) **ثورة أورلوف (١٧٧٠-١٧٧٤)**: انتفاضة يونانية ضد العثمانيين، بتحرير من الروس (عائلة أورلوف). أدّت إلى أعمال انتقامية قاسية، منها تدمير الأديرة.

(٣) **الذخائر (Ἀχραντα Πάθη)**، (أرخاندا باثي): تعني «الآلام المقدسة» (آثار آلام المسيح المقدسة).

(٤) **ثيوفانس ماوريكيوتيس**: شخصية محورية في إعادة الحياة إلى الدير بعد ١٧٧٥.

من خلال رسم ل V. G. Barsky نعرف دير رؤساء الملائكة في شكله الأقدم. أمّا الكاتدرائية (الكاثوليكون) في الدير الجديد فهي على شكل صليب، ذات أربعة أعمدة، مقببة، لها قبة مثمّنة، ونوافذ منقوشة بالرخام (١٨٥٩). وتزيّن بأيقونات للرسمين **ديميتريوس ك. فانيليس**، و**أثاناسيوس مانيليس**، و**إيوانيس إكونومو**.

ملحوظة: وُلِدَ **فاسيلي غريغوروفيتش بارسكي Vasily Grigorovich Barsky** عام ١٧٠١ في مدينة كييف، ضمن الإمبراطورية الروسية آنذاك اسمه «بارسكي» يعود إلى أنّ أحد أسلافه عاش في مدينة **بار (Bar)**، فصارت الصيغة «من بار / تابع بار». كان راهبًا، وكّرّس حياته للرحلات والتنقل إلى الأماكن المقدسة في الشرق، وزار العديد من الكنائس والأديرة في الأراضي المقدسة، وقام بتدوين مذكرات ورسم خرائط وصوّر لهذه الأماكن.

تتكوّن ملاحظاته من مزيج بين السرد الكتابي والرسم التصويري، وهو معروف بدقّة رسوماته التي تطابق ما سجّله نصّيًا. لم يقتصر في أعماله على الجانب الديني فقط، بل سجّل أيضًا تفاصيل عن الطبيعة: أشجار، مدن، طيور، وعناصر طبيعية. أنجز حوالي ١٤٨ رسمًا، بقي منها ١٣٧ محفوظة إلى اليوم.

تُعَدّ آثاره مصدرًا هامًا لدراسة تاريخ الأماكن المسيحية في الشرق في القرن الثامن عشر، خصوصًا في الكشف عن المظهر المعماري القديم للأديرة والكنائس. (انتهت الملحوظة)

وبعد الكوارث المتكرّرة، اهتمّ الرهبان بإغناء ديرهم الشهير من جديد، حتى يكون جديرًا بتاريخه العريق. فاضطّروا إلى القيام برحلات لجمع التبرّعات، ونجحوا في أن يُعيدوا للدير غناه، لا من الناحية الاقتصادية فحسب، بل أيضًا من خلال اقتناء قطع أثرية قيمة.

ففي متحف الدير اليوم تُحفظ مجموعة غنيّة تضمّ: مخطوطات كثيرة، مطبوعات قديمة، وثائق تاريخية (مثل الفرمانات، والصكوك، والعهود)، إضافة إلى صلبان خشبية منحوتة، أوّان مقدّسة، ملابس كهنوتية، أيقونات عظيمة القيمة، رايات، ونعوش جنائزية فريدة (E' πτάφιον)، (إبيتافيون) وغيرها من التحف النفيسة.

ملحوظة: كلمة **ἐπιτάφιον** (إبيتافيون) تعني نعش المسيح الرمزي الذي يُزيّن ويُطاف به في الجمعة العظيمة أثناء جناز المسيح.

في التقليد الأرثوذكسي، ال **Επιτάφιον** هو قطعة قماش كبيرة مطرّزة، عليها أيقونة ترمز إلى جسد المسيح بعد إنزاله من على الصليب. توضع على نعش مزين بالزهور، ويُطاف بها في الشوارع مساء الجمعة العظيمة وسط ترتيل «Εγκώμια» (المراثي لجناز المسيح). (انتهت الملحوظة)

مكتبة وذخائر وكنوز دير رؤساء الملائكة: تراث روحي وكنسي وفني فريد:

تُعدّ مكتبة الدير من الكنوز الثمينة، إذ تضمّ - بفضل تبرّعات أصحابها - مكتبات كلّ من أندرونيكوس ديميتراكوبولوس، وپامفوتوس فاسيلياديس، والمطران أغاثونيوكوس مطران كالا فريتا.

وفي كاتدرائية الدير، يعود تاريخ الحاجز الخشبي المنحوت (الأيقونسطاس) إلى سنة ١٨١٦، وهو آية في الجمال، يزدان بالمصاييح الفضّية. وهناك أيضًا، في الكاتدرائية نفسها، يُحفظ الجسد المقدّس للقديس البار ليونتيوس، حيث تُعيد ذكره المقدّسة في ١١ كانون الأوّل من كل عام، بكل وقار كنسي وروحانيّة مهيبّة.

أمّا الكنز الأثمن وفخر الدير فهو «الآلام المقدّسة»، الفريدة في حجمها وفي تدخلاتها (مفاعيلها) العجائبيّة. ولذلك كثيرًا ما يستدعي سكّان المنطقة الرهبان ليحملوا هذه الذخيرة المقدّسة إلى قراهم، حيث تُقام زياحات شعبية كبرى لطلب ابتعاد الأوبئة، أو لنزول المطر في أوقات الجفاف، أو لإبادة أسراب الجراد التي تُلحق أضرارًا جسيمة بالمرزوعات، وسائر الحاجات المُلحّة. وتكون الاستجابة في مثل هذه المناسبات فورية وعجيبة، الأمر الذي يفسّر التقوى العميقة التي يكنّها المؤمنون لهذا الكنز الثمين، والذي يروونه برهانًا حيًّا لإيمانهم بالله.

لقد انطلق من دير رؤساء الملائكة عدد كبير من رجال الدين العلماء، خدم كثيرون منهم الكنيسة في أزمنة مختلفة، في مطرانيات وأسقفيات اليونان، وفي مواقع محوريّة أخرى من الإدارة الكنسيّة. ولهذا السبب، يحقّ لهذا الدير أن يسطرّ صفحات مجيدة في سجلّ التاريخ، قديمه وحديثه، لأنّنا. وخلال فترة النضال القومي من أجل الاستقلال، قدّم الدير، على مدى سنوات طويلة، مبالغ مالية كبيرة دعمًا للتوّار. وعندما لم يعد يملك شيئًا آخر يقدّمه، بذل حتى قناديله الفضّية ومصابيحه، وكذلك الهالات الفضّية التي تزين الأيقونات المقدّسة. وقد برز كثير من آباء الدير كأبطال أوائل في الكفاح، فيما تحوّل الدير نفسه إلى مركز للتوّار، ومستودع للأسلحة والذخائر والمؤن، التي كانت تزوّد المقاتلين اليونانيّين في نضالهم ضد الطغيان العثماني.

إنّ الدير اليوم يبذل جهدًا يُتحدى به، من أجل ترميم مبانيه وتجديدها، لكن قبل كل شيء - وبالأخص - من أجل نهوضه الروحي. لكي يصير من جديد، في أيّامنا، منارةً مضيئة ومرفأً آمنًا، يرسو فيه المتعبون من صراعاتهم اليوميّة، في بحر الحياة المضطربة في زماننا هذا.

إنّ مجموع الأعمال الفنيّة المصنوعة من الذهب والفضّة، والتي استُخدمت إمّا في العبادة الأرثوذكسيّة أو قُدّمت كقرايين من المؤمنين، يتميّز بخصوصيّة واضحة في الفترة ما بعد البيزنطيّة (حتى بدايات القرن الثامن عشر، مع بعض التأثيرات الإسلاميّة أحيانًا)، وكذلك في العصر اليوناني الحديث (من بدايات القرن الثامن عشر حتى بدايات القرن العشرين).

وتشمل هذه المجموعة عددًا كبيرًا من الأغراض والأواني المقدّسة: + الأواني الليتورجيّة (علب القربان، الكؤوس المقدّسة، الصحن، الصلبان، الأعلام الكنسيّة، المباخر، الأغطية، وأواني الطيب).

+ صناديق الذخائر وعلب العظام المقدّسة.

+ أغطية الأيقونات وتجليد الكتب.

+ القناديل، العكاكيز، والشمعدانات.

+ الأبواب والأيقونات الصغيرة المحمولة.

+ التيجان الأسقفية، وسائر القطع المصنوعة من المعدن النفيس.

توجد، ولا سيّما في الأديرة، أعداد كبيرة من الأغراض المقدّسة، تتميّز بأشكال لافتة للنظر وصناعة دقيقة: مخرّمة، منفوخة، مثقوبة، محفورة. وهي مزدانة بزخارف ورسوم، ومرصّعة أحيانًا بالأحجار الكريمة.

وتحمل هذه الأغراض السّمة التقليديّة المميّزة، المملوءة تواضعًا، مع الدعاء المعتاد المنقوش عليها: «اذكر يا رب عبدك...»، يُضاف إليه أحيانًا اسم أو نسب أو تاريخ، أو يُتركّ بلا تحديد.

عمومًا، ورغم تنوّعها، فإنّ موضوعات هذه الأعمال الفنيّة بقيت أمينة للتقليد البيزنطي، ونادرًا ما اتّخذت طابعًا غريبًا. وهي تُعتبر كنوزًا فنيّة لا تُقدّر بثمن، إذ تشكّل قرايين تكشف عن لحظات يتخطّى فيها الإنسان صغر الشؤون اليوميّة، ليعبّر عن إيمان عميق لدى المسيحيّين. وتشهد هذه الأعمال على إبداعات صيغت بروح من السموّ الروحي، مفعمة بالورع والمحبة نحو مخلصنا يسوع المسيح.

إنّ مجموعة الصلبان المحفوظة في دير رؤساء الملائكة taxiarchon تُعدّ من أقدم المجموعات وأثمنها، ولا سيّما في النصف الثاني من القرن السابع عشر. وتتماز هذه الصلبان بإطاراتها المعدنيّة، وأذرعها ذات الرؤوس الحادّة، وأعمدتها المستديرة الصغيرة، وعُقدتها متعدّدة الأضلاع، إضافةً إلى العناصر الزخرفيّة التي تزين رؤوسها. كما يُحفظ في الدير أيضًا صوانٍ خاصّة بالخبز المقدّس (مصنوعة من الفضّة وتقبّلات متنوّعة)، إلى جانب مصاييح مميّزة تنتمي إلى مدرسة زاتونا.

تُعدّ مجموعة الأغطية الجنائزية (الإبيتافوس)، والأبواب الكنسيّة، والألبسة الكهنوتيّة المحفوظة في الدير، من المقننات البالغة الأهميّة. ويشتهر الدير خصوصًا بأغطية جنائزيّة مطرّزة قيّمة، منها:

+ غطاء كوكناس رولوياس، الذي يتميّز بتأثيره الغربي البارز.

+ غطاء (إيپوتافو) ديسبينوس (١٦٨٥).

+ غطاء (إيپوتافو) أرسينيوس (١٥٨٩-١٥٩٠).

+ غطاء خاص بالشمّاس فيلوثاوس من خيوس (بداية القرن التاسع عشر).

كما تُنسب إحدى الملابس الكهنوتيّة إلى البطريك الشهيد غريغوريوس الخامس، ما يرفع من القيمة التاريخيّة والروحيّة لهذه المجموعة. وكما هو الحال في معظم الأديرة، فإنّ أثمن هذه القطع جاءت من ورش التطريز الشهيرة في أزمير والقسطنطينيّة، وكانت ثمرة لرحلات «طلب العون» (الاستعطاء) التي اعتاد الرهبان القيام بها، ولا سيّما بعد كارثة سنة ١٧٧٢، حيث دُمّر الدير من الأتراك.

مصغرة قيمة، ومطبوعات قديمة ذات تجليد فاخر وبهي، ووثائق محفوظة باليونانية، والفينيقية، والتركية.

أما الدير الأرفع شأنًا في مجال المخطوطات والوثائق والمطبوعات القديمة فهو دير الملاكين، إذ يبلغ عدد مخطوطاته نحو المئة، وتمتاز بقيمة فنية وعلمية كبيرة، ومن بينها قوانين كنسية (نوموقانونات)، وصلوات (أكولوثيات)، وقرابين مقدسة (بروسفيسيس)، ومدونات وقفية (أكتيتوريكوس كودكس). ويحتفظ فيه أيضًا بـ «المخطوط الأرجواني» الفريد من نوعه في اليونان. أما الوثائق (السيغيلية) التركية، السابقة للثورة أو اللاحقة لها، فهي تُعدّ بالمئات، في حين أنّ المطبوعات اليونانية القديمة (حتى سنة ١٨٢١ على الأقل) يبلغ عددها نحو ٤٠٠، من غير احتساب المطبوعات الأجنبية.

إنّ المطرّزات بالذهب والفضّة تُعدّ فخر الأديرة وزينتها، فهي بهاء للعيون يجذب الزوّار، ومادّة ثمينة للدراسة عند المتخصصين، كما أنّها تحفّ فنية نادرة وتقرّبات إيمانية طاهرة وذخائر قومية نفيسة. وكانت أديرة إبارشية كلّفينا وأيغالياس تقتني مكتبات غنيّة بالمخطوطات، والوثائق، والمطبوعات الثمينة، فكانت بحقّ مراكز إشعاع للتراث الروحي والكنسي والفنيّ الفريد.

ونذكر بخاصّة مكتبات دير المغارة العظمى، ودير لافرا المقدّسة، ودير الملاكين، التي أدّت دورًا بارزًا في نشر التربية خلال زمن العبوديّة، إذ برز من أحضانها معلّمون متميّزون، معروفون أو مجهولون. وما بقي من شذرات هذه المكتبات، التي أصابها الخراب مرارًا (حرائق، هب...)، يقدّم صدى لعظمتها الماضية: مخطوطات مزينة بصور

«Κειμήλια και πολυτίμες εικόνες από την Ἱερὰ Μονὴ τῶν Ἀρχαγγέλων Μιχαὴλ καὶ Γαβριὴλ Αἰγιαλείας»

ذخائر وصور ثمينة من دير رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل، إيجيالياس
صفحات من التراث الروحي والفنّ البيزنطي في أعرق أديرة البيلوبونيس



هامة القديس
ليوندينوس
وذخائر
من يديه
ورجليه



مدخل الدير الخارجي



صلبان مذهبة ومرصعة بالأحجار الكريمة تعود إلى زمن الحكم العثماني

الآلام الطاهرة
لسيدنا ومخلصنا
يسوع المسيح:
الإسفنجة
إكليل الشوك
الخشب المكرّم
الرّداء



Τ ΑΧΡΑΝΤΑ ΠΑΘΗ ΤΟΥ ΚΥΡΙΟΥ ΜΑΣ
ΣΤΙΟΓΟΣ - ΑΚΑΝΘΙΝΟ ΣΤΕΦΑΝΙ - ΤΙΜΙΟ ΞΥΛΟ - ΧΑΛΑΜΙΔΑ



1



2



3



4



5



6



7



8



9

- (١) الباب الملوكي، عمل فني رائع مقدمة من الشماس فيلوثيرو من جزيرة خيوس
- (٢) علب مرصعة تحوي ذخائر وقطع من آلام السيد المسيح - الحقة البيزنطية
- (٣) غطاء (إيبوتافو) ديسبينوس (١٦٨٥)
- (٤) غطاء (إيبوتافو) أرسينيوس (١٥٨٩-١٥٩٠)
- (٥) خزانة الذخائر المقدسة
- (٦) الإنجيل المقدس، مقدمة للدير، من متروبوليت أثينا بروكوبيوس (١٨٨٩)
- (٧) مدخل الكنيسة المركزية الكاثوليكون
- (٨) مكتبة الدير القيّمة والثمينة
- (٩) إنجيل مذهب محفور مع نقش (كريستوفوروس نوتاراس، ١٧٨٥ - نقش ١٧٩٧، التكلفة (١٠,٠٠٠) (الف قرش ، هي فترة الحكم العثماني) (يعادل أكثر من ٤ سنوات من راتب المعلم)



يُخيف، سأعرض لك بصورة أوضح ما أقصده.
ففي كلِّ الأمور الأخرى التي تُدرك بالحواس، يُحاط الكمال بحدود معينة، كما هو الحال في الكمِّ، سواء كان متّصلاً أم منقسمًا. فكلُّ مقياسٍ لكمٍّ ما، يحده نطاقٌ معينٌ خاصٌّ به.
ومن يعرف الذراع أو العشرة في الحساب، يعلم من أين يبدأ وإلى أين ينتهي ليلبغ التمام. أمّا في ما يخصُّ الفضيلة، فقد تعلّمنا من الرسول حدًّا واحدًا لها، وهو أنّها لا حدَّ لها.

ملحوظة: القديس غريغوريوس النيصي يميّز هنا بين الكمِّ المحدود (كالطول أو العدد) وبين الفضيلة التي لا تُقاس، لأنّها مرتبطة بالله، والكمال الإلهي غير محدود. هذه الفكرة تُعتبر الأساس لفلسفته الشهيرة عن «الصعود اللامتناهي نحو الله» (إبيكتاسيوس) (ἐπέκτασις). (انتهت الملحوظة)

ذاك العظيم العميق الفكر، **الرسول الإلهي**، كان يسعى دائمًا في سباق الفضيلة، ولم يتوقّف قطّ عن التقدّم إلى الأمام أكثر فأكثر. ولم تكن له في هذا الجهد وقفة آمنة. ولماذا ذلك؟

ملحوظة: القديس غريغوريوس النيصي يرى في الرسول بولس النموذج الأعلى للحركة المستمرة نحو الله. فكما أنّ الله غير محدود، كذلك الفضيلة المرتبطة به لا تعرف نهاية. لذلك حتى بولس، رغم كماله، لم يتوقّف عن السعي، بل كان يقول: «أسعى لعلّي أدرك» (فيلبي ٣: ١٢). (انتهت الملحوظة)

لأنّ كلّ خيرٍ في طبيعته لا يملك حدًّا، بل يُعرّف بوضعه في مقابل نقيضه. فالحياة تُعرّف بالموت، والنور بالظلمة، وعلى وجه العموم، يُدرك كلّ خيرٍ بما يُفهم أنّه نقيضُ الخير.

ملحوظة: يبيّن القديس غريغوريوس النيصي هنا أنّ الخير لا يُحدّد بحدٍّ ماديّ، بل بالضدّ منه. فالخير الإلهي ليس كمًّا أو صفة محدودة، بل واقع لا نهائيّ، يُعرّف فقط بتمييزه عن نقيضه. هذه الفكرة ستقوده لاحقًا إلى القول إنّ الإنسان لا يتوقّف عن التقدّم في معرفة الله، لأنّ الله لا نهائيّ في خيره. (انتهت الملحوظة)

وكما أنّ نهاية الحياة هي بداية الموت، هكذا أيضًا توقّف السير في طريق الفضيلة يصير بدءًا لطريق الشرّ. فلم يُرهّن إذًا أنّ قولي باطلٌ حين قلتُ إنّّه يستحيل أن تُحدّ الفضيلة بالكمال، لأنّه قد تبين أنّ ما يُحاط به محدودٌ ليس فضيلةً.

المصدر: غريغوريوس النيصي، الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، تقديم، نصّ، ترجمة وتعليقات: الأب إغناطيوس ساكليس، منشورات الخدمة الرسولية، أثينا، ٢٠١٥.

كما يحدث لأولئك الذين يحبّون متابعة سباقات الخيل: فإنهم، وإن لم تنقصهم الرغبة في الجري، إلّا أنّهم من شدّة شوقهم إلى النصر، يرفعون أصواتهم بالتشجيع، ويتابعون بأبصارهم من الأعالي مجرى السباق، ويحثّون، كما يظنّون، السائس ليقود أسرع، ويصرخون في الخيول، ويسطون أيديهم نحوها ملوّحين بها كما لو كانت سيّاطًا، لأنّ هذه الحركات تُسهّم فعلاً في الظفر، بل لأنهم بدافع المودّة نحو المتبارين يريدون أن يُظهروا بحماستهم وندائهم اهتمامهم وحرارتهم.

كذلك أنا أيضًا أفعل، يا أعزّ الإخوة والأصدقاء، فبينما أنت تجاهد بشجاعة في مضمار الفضيلة، **في الطريق الإلهي**، وتشجّد قواك نحو جائزة الدعوة السماويّة بقفزات سريعة وخفيفة، فإني أرفع صوتي لأحثّك على الإسراع، وأشجّعك أن تزيد أكثر فأكثر في سرعتك واجتهادك.

ولستُ أفعل ذلك بدافع نزوة غير عاقلة، بل أقدم لك ما يُسرّك أنت، يا ابني المحبوب. إذ إنّ الرسالة التي أرسلتها لي منذ وقت قريب كانت تُظهر طلبك هذا: أن أكتب لك مذكرةً عن الحياة الكاملة. لذلك رأيْتُ أنه ينبغي أن أقدم لك بكلماتي، إنّ لم يكن شيئًا آخر نافعا، فعلى الأقل هذا بعينه: ألا يكون بلا فائدة لك أن تقتني مثالًا للطاعة. فإن كنتُ أنا، الذي أُقيمت لي رتبة الأب لأرواح كثيرة، أرى أنه ينبغي لي، وأنا ذو الشَّيب، أن أقبل مطلب الشباب الحكيم؛ فبالأولى أن يظهر فيك متقوياً عمل الطاعة، أي طاعة شبابك الذي رُئي على يديّ في الطاعة الطوعية.

يكفي ما قيل إلى هنا.

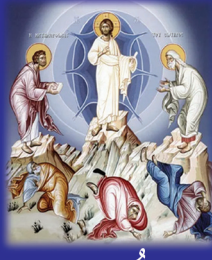
فلنتقل الآن إلى الغاية التي وضعتها أمامي، جاعلاً الله دليلاً لكلامي. لقد طلبتُ مني، يا عزيزي، أن أصف لك ما هي الحياة الكاملة. ومن الواضح أنك ترمي إلى هذا، أي: إن وُجد ما نطلبه، أن تنقل إلى حياتك أنت النعمة التي سيُظهرها لك كلامي.

أمّا أنا فغير قادر على الأمرين كليهما.

لأنّ من العسير أن يحتوي كلامي الكمال، كما أنّه فوق طاقتي أن أظهر في الحياة ما قد يتصوّره كلامي. وأقول إنّ كلا الأمرين يتجاوز قدرتي. وربّما لا أنا وحدي، بل كثيرون أيضًا من العظماء والمبرزين في الفضيلة سيعترفون بأنّ مثل هذا الأمر يتعدّر عليهم.

ولكن لكيلا أبدو، كما يقول المرتّم، أيّ أخاف حيث لا يوجد ما

نور الميلاد يسطع في نور التجلي ويتألق بنور القيامة



عن التجلي (مقتطف)

للقديس

كيرلس الإسكندري

«الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً» (إشعيا ٩: ٢)

بكلمة واحدة، إذ يقول عن المسيح: «تو بان» «Tò PAN» - التي معناها: «الكل». فالمسيح ليس جزءاً من الحقيقة، ولا مرحلة من التاريخ، بل هو الكل الذي «بمأ الكل» (أف ٤: ١٠).

نور الميلاد يسطع في نور التجلي ويتألق بنور القيامة

من نور الميلاد الذي أشرق في مغارة بيت لحم، إلى نور التجلي الذي لمع على جبل ثابور، إلى نور القيامة الذي أثار القبر، إنَّها محطات خلاصية تُشعل أذهاننا بنور المعرفة الإلهية، لكي نسير مع مَنْ هو الطريق والحق والحياة، ليرفع الطبيعة البشرية الساقطة إلى النعيم السماوي. المسيح هو نور من نور قبل الدهور، ظهر في الزمن من أجل خلاصنا. في بيت لحم أخفى مجده في سر التدبير الإلهي، لكن الكنيسة رأت في ميلاده إشرق المعرفة الإلهية، فترنمت قائلة: «ميلادك أيها المسيح إلهنا قد أشرق نور المعرفة للعالم، لأن الساجدين للكواكب به تعلموا من الكوكب السجود لك يا شمس العدل، وأن يعرفوا أنك من مشارق العلو أتيت، يا رب المجد لك.»

في التجلي، أراح المسيح اللثام عن مجد لاهوته المستقر فيه، فكان إظهاراً وكشفاً للنور غير المخلوق المحجوب داخل جسده المؤله، حيث أظهر لتلاميذه مجد طبيعته الإلهية متحدًا بالطبيعة الإنسانية، وكشف لهم بالنور الذي سمح لهم أن يروه، بقدر ما يستطيع الجسد البشري أن يحمل. إنَّها المحطة التي تسبق الصليب والقيامة، لكي يصير جسد المسيح المجدد، وهو جسد قيامتنا العتيدة، عربون تأهلنا بالنعمة من النور غير المخلوق.

كان الصليب على الجلجثة قمة الحب الإلهي، نوراً للحياة الحقيقية، وفي القيامة سطع النور الكامل الذي لا يغرب، فيرى أن النور الذي أشرق في بيت لحم هو ذاته الذي تجلى في ثابور، وهو نفسه الذي أشرق من القبر في فجر القيامة. ففي المسيح على الصليب تألق الحب الإلهي الذي لا يسبر غوره، إنه حب أبدي لا يذبل ولا يخبو، يُعيد آدم الساقط إلى الملك المُعد له منذ إنشاء العالم.

ويقول القديس بوليفريوس: «المسيح هو الكل، كل شيء جميل هو منه، وبدونه لا شيء يُدعى حياة.» إذًا، ذاك الذي أضاء وجهه في الميلاد هو نفسه الذي كشف نوره في التجلي، وهو نفسه الذي أشرق بنور القيامة الأبدي، لكي يُضيء فينا ويُعيد إلى آدم صورته الأولى.

«فاظهر لنا نحن الخطاة نورك الأزلي، يا مانح النور، المجد لك.»

فَظْهُورُ موسى وإيليا بجانيه [أثناء التجلي الإلهي على جبل ثابور]، وحديثهما معه، كان تدبيراً إلهياً، يعرض لنا بوضوح أن ربنا يسوع المسيح كان يُحاط بخدام مكرمين، هم الناموس والأنبياء.

فقد أظهره، قبل أن يُعلن مجده، سيداً على الناموس والأنبياء، بما بشرنا به واتفقا عليه فيما بينهما. إذ ليست أقوال الأنبياء مناقضة لما أُعلن بالناموس، بل كلاهما يتحدان في شهادة واحدة للمسيح.

ولهذا، أعتقد أن مخاطبة موسى المقدس للنبي إيليا المكرم كانت تحمل هذا المعنى: أن الاثنين يتبادلان الحديث كمن يشهدان لمصدر واحد، هو المسيح الرب. ولكن هناك أيضاً معنى آخر يجب أن نتأمله: إذ كانت الجموع تقول: إن يسوع هو إيليا، أو إرميا، أو أحد الأنبياء، فقد أراد الرب أن يُظهر لتلاميذه بجلاء الفرق بين العبد والسيد، وبين النبي ورب الأنبياء.

ثم بعد ذلك، يمكننا أن نلاحظ معنى ثالثاً:

بما أنهم كانوا يتهمونه دائماً بتعدي الناموس، وبحسبونه مُجدفاً، لأنَّه، كما ظنوا، يغتصب مجداً لا يخصه - مجد الآب - وكانوا يقولون: «هذا الإنسان ليس من الله، لأنَّه لا يحفظ السبت» (يوحنا ٩: ١٦)، وأيضاً: «لَسْنَا نَرَجُوكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إلهًا» (يوحنا ١٠: ٣٣).

فلأجل أن يظهر أن هاتين التهمتين - التجديف وتعدي الناموس - وُلدتا من الحسد، وأنَّه بريء منهما كليهما، وأنَّ ما يفعله ليس مخالفةً للناموس ولا اغتصاباً لمجد إلهي لا يخصه، بل بالحري إعلان لمساواته للآب، فقد أظهر بجانيه رمزي الناموس والأنبياء، أي موسى وإيليا، اللذين أشرقا في المجالين الروحانيين هذين.

فموسى هو الذي سلَّم الناموس، ومن ثم يفهم اليهود أنَّه لم يكن ليُقبل أن يُداس الناموس أو يُحتقر كما ظنوا، ولا أن يُخدم ذاك الذي يخالف الناموس.

وأما إيليا، فقد كان غيوراً لمجد الله، فلو كان يسوع معادياً لله، أو نسب إلى نفسه مساواة مع الآب دون أن يكون إلهًا حقاً، لما حضر إيليا بنفسه في حضرته، ولا خضع له بتلك الوقفة العظيمة.

إنَّ القديس كيرلس الإسكندري يكشف لنا في رؤيته اللاهوتية سرَّ المسيح الذي تأتس لكي يُظهر مجده في الجسد.

وبعد قرون، يأتي القديس بوليفريوس كافسوكاليفيا، ليختصر هذا السرَّ

تفسير رسالة القديس بولس الرسول الأولى

إلى أهل كورنثوس (45)

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. سعيد حكيم يعقوب



القديس بولس الرسول

الإصحاح السادس:

تابع لعة السادسة عشر: (١ كو ٥: ٩-١١)

«أَيْتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ دَعْوَى عَلَى آخَرَ أَنْ يُحَاكِمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ عِنْدَ الْقَدِيسِينَ؟» (١ كو ٦: ١)

وهنا أيضاً يصيغ ويجدد الاتهام كما لو أنهم قد اعترفوا بأخطائهم، لأنه يقول: هناك: «يُسْمَعُ مُطْلَقاً أَنْ بَيْنَكُمْ زَنَى!» (١ كو ٥: ١)، بينما هنا يقول: «أَيْتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ» (١ كو ٦: ١). مبيّناً عن غضبه مباشرة ومن البداية. ومظهراً أن الأمر برمته هو نتيجة تجاسر ومخالفة.

تُرى لماذا ضَمَّنَ حديثه الكلام عن الطمع، وأنه لا ينبغي لأحدٍ من المؤمنين أن يحاكم عند قضاة وثنيين؟ ذلك لأنه يتبع قانونه الخاص. أي أنه هكذا كانت عادته، أن يحاول إيجاد حل للمشاكل التي تظهر، عن طريق الإحالة لنص آخر.

كما تعود عند الحديث عن المائدة المشتركة، يبدأ يتقدم بـ «حديثه» ليتكلم عن الأسرار. فيما أن الحديث هنا عن الإخوة الطماعين، وكان شديد الاهتمام بالمخطئين لأجل إصلاحهم، لم يستطع أن يلزم نفسه بالحفاظ على نظام أو ترتيب ما في حديثه، بل حاول أن يصلح ما أفسدته الخطيئة. وبعد ذلك عاد إلى الموضوع السابق، ولنستمع ماذا يقول عن هذا الأمر.

يقول: «أَيْتَجَاسَرُ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ دَعْوَى عَلَى آخَرَ أَنْ يُحَاكِمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ عِنْدَ الْقَدِيسِينَ؟» (١ كو ٦: ١). أولاً هو يجردهم من خلال الكلمات التي يستخدمها، بل ويجادلهم ويتهمهم، وهو في بداية حديثه لم يستبعد أن يُحَكِّمَ على الموضوع من قِبل مؤمنين. ولكن عندما يُحَكِّمَ على هؤلاء من قِبل كثيرين، حينئذٍ لا يسمح بالحكم بشكل عام، أي أنه إذا كان ينبغي أن يلجأوا إلى المحاكم، فإنه لا ينبغي في كُلِّ الأحوال أن يلجأوا إلى محاكم الأمم، بل ولا يلجأوا أساساً إلى المحاكم. وهذا الأمر قد أشار إليه مؤخراً، إلا أنه قد استبعد من ذي قبل أن يلجأ أحد المؤمنين إلى محاكم الوثنيين، لأنه إلى أي مدى يبلغ

السخف وعدم اللياقة، عندما ترغب في أن يُصالحك العدو مع الصديق الذي أظهر شيئاً من الجبن والخوف؟ وكيف لا ترتعش ولا تخجل، عندما يجلس قاضٍ وثني، لكي يُحاكم أحد المسيحيين؟ ومادام قد ينبغي أن نلجأ إلى المحاكم الوثنية من أجل موضوعات خاصة، فكيف سنطرح أمام هؤلاء، في موضوعات جادة، لكي يحكموا فيها؟ لاحظ كيف يتكلم. لم يقل: «محاكم غير المؤمنين»، بل قال: «أَنْ يُحَاكِمَ عِنْدَ الظَّالِمِينَ»، مستخدماً كلمة كانت مطلوبة في الموضوع المطروح، حتى يضغط عليهم ويُرددهم عن مسلكهم، ولأن حديثه كان عن العدل، ولأن كل من لجأوا إلى المحاكم لم يطلبوا شيئاً كثيراً، بقدر ما كانوا يطلبون أن يُحرص القضاة على إعلان حقهم. فلذلك كان سيتوقف هؤلاء متسائلاً: أين تذهب، وماذا تفعل أيُّها الإنسان؟ أنت سُعاني، لأنك ستنتال عكس ما تتمناه، وتطلب من ظالمين أن يحكموا بما يحقق العدالة. ولأنه كان من الصعوبة بمكان أن يسمعوا وصية في بداية حديثه بالألا يلجأوا إلى المحاكم، لم يُشِرْ إلى ذلك بطريقة مباشرة، بل تحدث فقط عن القضاء (الظالمين)، محيلاً المتقاضين الذين كانوا يلجأون إلى محاكم الأمم، إلى الكنيسة.

ولأنه كان واضحاً في تقديره وفي حكمته - أنه أمرٌ يستحق الازدراء - أن يُحاكم مؤمناً من أعضاء الكنيسة آنذاك، أمام محاكم الأمم. فقد يكونوا غير قادرين على الإمام الكامل بقضايهم التي يطرحونها، ولا كانوا مثل قضاة الأمم، خبراء في القوانين وخطباء مقننين. إذ أن غالبيتهم من البسطاء. إنته كيف جعل هؤلاء موضع ثقة وتصديق، بأن دعاهم أولاً قديسين، لأنه بذلك قد أظهر نقاوة الحياة. وليس أن القضاة سيحكموا بالعدل في القضية المطروحة. لهذا لاحظ كيف يمضي بمهارة في هذه الجزئية.

قائلاً: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَدِيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ؟» (١ كو ٦: ٢).

إذاً فإن كنت أنت سُدَيْن هؤلاء في ذلك اليوم (أي يوم الدينونة)، فكيف تحتل أن تُدانَ على أيديهم الآن. إنهم لا يعرفون نزاهة

سنكون نحن قضاةم بكل ما فعلنا. ولكي لا يعتقد أحد أنه يتكلم عن آخرين، لاحظ كيف أنه يطوّر حديثه حتى يبدي اهتمامًا مشتركًا. «فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِيمِ الصُّغْرَى؟» (١ كو ٦: ٢) الأمر إذا يحمل لكم الخجل والعار الذي لا يوصف. ولأنه سيكون من المحتمل أن يخجلوا، أو أنهم أدينوا من مؤمنين، فإن العكس بالتأكيد هو الخجل بعينه أن تُدانوا من قبل الوثنيين، لأنه تلك الموضوعات هي كلا شيء.

٣ «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلَائِكَةً؟ فَبِالْأُولَى أُمُورَ هَذِهِ الْحَيَاةِ؟» (١ كو ٦: ٣).

يقول البعض إنه يلمح هنا إلى الكهنة، إلا أن مثل هذا الفكر مستبعد تمامًا، لأنه يتكلم ... يتبع في العدد القادم

القضاء، ولا يبحثون عن الحق، بل ما يشغلهم هو الإدانة. هذا تحديدًا ما شدّد عليه قائلاً: «فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِيمِ الصُّغْرَى؟» (١ كو ٦: ٢)، أي أنه لم يقل «منكم»، بل قال «بكم»، تمامًا كما يقول الكتاب: «رَجُلٌ نَيْنَوِي سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لِأَنَّهُمْ تَابُوا بِمَنَادَةِ يُونَانَ، وَهُوَ ذَا أَعْظَمَ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا! مَلَكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُ، لِأَنَّهُ أَتَتْ مِنْ أَقْصَايِ الْأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، وَهُوَ ذَا أَعْظَمَ مِنْ سُلَيْمَانَ هَهُنَا!» (مت ١٢: ٤١-٤٢).

إذاً، فبينما نرى جميعًا شمسًا واحدة، وبينما نعيش نفس الحياة الاجتماعية في مجملها، إلا أننا مؤمنون، ويبقى هؤلاء غير مؤمنين، ولن يستطيعوا أن يتدبروا أو يتحججوا بعدم المعرفة أو بالجهل، لأننا



«الحسد الذي يرى ويتكلم ويسمع»

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

الحسد الذي يرى ويتكلم ويسمع

الحسد ظلامٌ يُعمي الذّهن؛ أمّا الصّمتُ فهو النّور الذي يحفظ نعمة النّفس.

«لا تتحدث كثيرًا عن حياتك؛ فعندما يسود الحسد حولك، يبدأ العميان في الرؤية، والبكم في الكلام، والصم في السماع».

هذه المقولة البسيطة تكشف كيف يعمل الحسد: فهو يُحوّل الناس إلى أدواتٍ للانتقاد والثرثرة.

لكن الربّ قال: «فَإِنَّهُ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شَرِيرَةٌ ... حَسَدٌ وَتَحَادِيْفٌ» (متى ١٩: ١٥). فإذا سكّن الحسد فينا، تنجّس كلامنا وفَسَدَ سَمَاعُنَا.

القديس يوحنا الذهبي الفم يُعلّم قائلاً: «إنّ الحاسد لا يعرف راحة، بل تشتعل في قلبه نارٌ ويأكله شرّه من الداخل».

والقديس باسيليوس الكبير يكتب: «الحسد هو حزنٌ على سعادة القريب وخرابٌ للنفس ذاتها».

المسيح يدعونا إلى الصمت والتواضع:

«فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُصَوِّتْ قَدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاوُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الْأَزْقَةِ، لِكَيْ يُمَجِّدُوا مِنَ النَّاسِ. أَلْحَقْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!» (متى ٦: ٢).

فلا تتحدث كثيرًا عن أعمالك الصالحة أو خيراتك؛ ليعرفها الله وحده. لأنّ التفاخر يُولّد الحسد، والحسد يُنجب الإدانة. من يعيش في الصّمت، تحفظه النّعمة.

يقول القديس إسحق السوري: «أحب الهدوء، فتجد السلام في قلبك».

في الصمت المتواضع يجد الإنسان **المسيح**، لأنّ: «الوديع والمتواضع القلب لا يحسد أبدًا، بل يفرح بخير أخيه» (**القديس الأنبا دوروثاوس**). الحسد مرضٌ يُعمي الإنسان، أمّا الصمت فهو دواءٌ يشفي النفس. ومن يتعلّم أن يفرح بخير غيره، فإنّ الله يسكن فيه.

فلنحفظ إذا صمتنا طاهرًا وكلامنا مقدّسًا، لتصرّ قلوبنا مرآةً **لسلام الربّ**.

إلى كلّ من يجاهد ليغلب الحسد بالصلاة والصمت، تُهدي هذه الفكرة. ليمنح **الربّ** التواضع والسلام لكلّ نفسٍ تبتعد عن الباطل وتطلب الكنز الخفي للنعمة.

لا تتحدث كثيرًا عن حياتك؛ دع الله يتحدث بأعماله فيك.

ولا ننسى الشاعر الحكيم القائل:

فاصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتلُهُ،

كالنار تأكلُ بعضُها إن لم تجد ما تأكلُهُ.

توزّع هذه المجلة مجانًا

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122

كفر كنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

جمعية نور المسيح

المعزّز المسؤول:

هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح